الفصل الرابع والثمانون

تسخير عالم الارواح

للعالم الخفي ، وأقصد به عالم الأرواح وكل ما لا تراه العين ويدركه الحس من قوى طيبة أو خبيثة ، أثر خطير في عقائد أهل الجاهلية ، وفي عقائد الشعوب القديمة ، وفي أنفس كثير من الناس حتى اليوم ، إذ يشغل ذلك العالم في الواقع جزءاً خطيراً من الدين ومن حياة الناس عامة . فهناك صلوات وشعائر وأدعية مكتوبة وغير مكتوبة تتلى وتقال وتقرأ للسيطرة على ذلك العالم ، وللانتفاع منه ، ولتسخيره في سبيل خير الانسان ومصلحته ، ولتجنب أذى النوع الخبيث منه . واذا تتبعنا هذه الاعتقادات عند الجاهليين ، وجدنا انها قد كونت الجزء الأكبر من عقيدتهم وديانتهم ، وانها والذبائح من الأصول التي ارتكزت عليها ديانات العرب قبل الاسلام .

والواقع ان الاعتقاد بالأرواح يشغل حيّزاً كبيراً من فناء الدين عند الجاهليين ، وإن بدا لنا انه شيء لا علاقة له بالدين . فنحن حين البحث في موضوع العقيدة والدين عند أهل الجاهلية ، لا نتحدث بالطبع عن العقيدة والدين بالنسبة الى معتقداتنا وبالنسبة الى تفكير الانسان في القرن العشرين ، وانما نتحدث عن رأي أناس عاشوا قبل الاسلام ، وعن جماعة أدركت الاسلام ، كانت الأرواح في نظرها أكثر أثراً في حياة الفرد من أثر الآلهة فيه . فتقرب وتوسل اليها أكثر من تقربه وتوسله إلى آلهته التي كان يرى ان بيدها مفتاح سعادته وشقائه . وآية ذلك كثرة الكلمات والمصطلحات الجاهلية المتعلقة بها ، وما ورد في القرآن الكريم وفي

الحديث النبوي والأخبار من أثر الجن في نفوس القوم ، حتى تصوروهم آلهة وشركاء للأرباب في ادارة دفة هذا الكون .

هذا ، ونحن إن ذكرنا الأرواح ، فإننا لا نقصد المعنى المفهوم منها في رأينا، بل نقصد هذا المعنى وشيئاً آخر أعم وأوسع منه،معنى يشمل أيضاً بعض الأحجار والأشجار والآبار والكهوف وأمثال ذلك من أشياء تصوّر أهل الجاهلية أنها تكمن فيها قوة خارقة تستطيع التأثير في حياة الناس ، فتقربوا اليها بالزيارات والقرابين وبالتضرع والتوسل والأدعية لقدسيتها ولتلك القدرة العجيبة التي فيها ، فهي من حيث النفع أو الضرر كالأرواح : لوجود قوى خارقة غير منظورة فيها ، هي من الأرواح ، فتقرب اليها الانسان لذلك ، لغرض الاستفادة منها أو دفع أذاها.

وطبيعة الأرواح ، طبيعة غير مرئية ولا منظورة ، هي لطيفة خفيّة مستورة . إنما يجوز لبعضها الظهور في صورة أشباح ، والتجسم على هيأة الأجساد . ثم انها على طبيعتين : شريرة وخيرة ، خبيثة وصالحة . من الطبيعة الأولى الشياطين وبعض أنواع الجن ، ومن الطبيعة الثانية الملائكة والشطر الثاني من الجن . وأثر الخبيث من الأرواح أوضح وأكثر في عقلية أهل الجاهلية من أثر الفريق الصالح . وهو شيء منطقي مفهوم ، فالإنسان الى الشر أقرب منه الى الخير ، ذلك أن من طبع الخير عدم إلحاق الأذى بالغير ، فلا يخشى منه . أما الشرير ، ففي طبعه إلحاق الضرر والأذى بكل واحد ، وفي كل لحظة يراها ، لذلك التفتت اليه الأنظار حذراً منه ، وخشية من مكره ، وتقرّبت وتوددت اليه ، لا حباً له ، ولا تقرباً اليه لأنه جدير به ، بل إنما تملّقاً وتزلفاً لإبعاد شره ، وأمن جانبه على نمط ما يفعله الناس تجاه الأقوياء من الأشرار حيث يتقربون اليهم أو يبتعدون عنهم طمعاً ورهبة ، تمشية لأمور معاشهم ، لا حباً لهم واخلاصاً لاستحقاقهم ذلك الحب والاخلاص .

وقد ذكر (الجاحظ) ان الأعراب تجعل الخوافي والمستجنّات جنسين. يقولون جنّ وحنّ[1] . وقصد بـ (الخوافي) الأرواح ، لأنها لا ترى . وذكر غيره ان (الحن) ، حي من الجن ، كانوا قبل آدم ، يقال منهم الكلاب السود البهم ، يقال كلب حني ، أو سفلة الجن وضعفاؤهم أو كلابهم ، « ومنه حديث

---

١ الحيوان (٦/١٩٣) .

ابن عباس ، رضي الله تعالى عنهما ، الكلاب من الحن ، وهي ضعفة الجن ، فإن كان عندكم طعام فألقوا لهن ، فإن لهن أنفساً ، أي تصيب بأعينها »[1] . وذكر ان (الحن) خلق بين الجن والانس[2] .

وذكر (الجاحظ) أيضاً أن بعض الناس يقسم الجنّ على قسمين ، فيقول : هم جنّ و (حنّ).ويجعل (الجن) أضعفها[3] . وقد ذهب بعض أهل الأخبار الى أن (الحن) ، هم كلاب الجنّ وسفلتهم ، وشر أنواع الجـــن[4] . ويجعلون الجن فوق الحن[5] .

ويقال للجنّ الجان ، و (الجنة) كذلك . و (الجان) اسم جمع للجنّ على رأي بعض علماء اللغة[6] . وقـــد ورد في مقابل (الإنس) في القرآن الكريم ، « لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان »[7] . وصيره اسم أبـي الجن بعض العلماء ، أي في مقابل آدم أبـي البشر[8] . وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان كلمة (الجن) من الكلمات المعربة ، وذهب بعض آخر الى انها عربية[9] . وأرى انها من الكلمات السامية القديمة ، لأن الايمان بالجن من العقائد القديمة المعروفة عند قدماء الساميين وعند غير الساميين كذلك . والجن قوم مستترون ، وكلمـة (جنون) من هذا الأصل ، ومن معاني أصل الكلمة الاستتار .

ولم يتوصل الباحثون حتى الآن الى رأي ثابت في أصل كلمة (الجن) . فمنهم من رأى أنهم اسم صنم من أصنام العرب القديمة ، ومنهم من رأى أنها من أصل

---

١ تاج العروس (١٨٥/٩) ، (حنن) .

٢ المصدر نفسه .

٣ الحيوان (١٧٧/٧) ، (هارون) ، (١٩٣/٦) .

٤ بلوغ الارب (٣٥١/٢) .

٥ قال أعشى سليم :

فما أنا من جن اذا كنت حائفـا ولستمن النسناسفي عنصرالبشر

وقال اخر :

أبيت أهـوى فى شياطـين نرى محملـف بجواهـم حن وجـــن

الحيوان (١٩٣/٦) .

٦ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) ، روح المعاني (٣٤/١٤ وما بعدها) .

٧ الرحمن ، الاية ٧٤ .

٨ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) ، (والجان . أبو الجن .. كما أن آدم أبـــو البشر) ، اللسان (٩٥/١٣ وما بعدها) ، (جنن) ، Reste, S. 148.

٩ Ency., I, p. 1045, Smith, p. 121, Lane, Lexicon, p. 492.

أعجمي ، ومنهم من وجـد لها صلة بالحبشية [1] . أما علماء العربية ، فرأوا أن معنى الكلمة الأصلي هو الاستتار ، وأنها من الاجتنان ، ولعدم إمكان رؤية ذلك العالم أطلقت عليه كلمة (الجن)[2] . وتقابل لفظة (الجن) و (جن) لفظـة (Demons) في الإنكليزية .

ويرى (نولدكه) أن فكرة (الجن) فكرة استوردها العرب من الخارج ، بدليل قولهم ان الجنة من عمل الجن ، ومن تلبس الجن بالانسان . وهي في نظره عقيدة قديمة دخلت العرب من جيرانهم الشماليين ، فقد كان الايرانيون يطلقـون على المجنون لفظة (ديوانه) (Devana) ، أي الذي به (ديو) (dev) من الأصل (ديـــوه) (Daiva) ، ومعناه (Demon) ، أي جان . ومن هـــذه الفكرة دخلت العهد الجديد من الكتاب المقدس . ويأتي (نولدكه) بدليل آخر على اثبات نظريتـــه في أن فكرة الجن فكرة مستوردة من الخارج شيوع قصص بناء جنّ سليمان مدينة (تدمر) بين الجاهليين ، وهو قصص ورد من قصة بناء (سليمان) لـ (تامار) في العهد القديم ، وتفسير (تامار) بتدمر عند المفسرين العبرانيين[3] .

ورأى (روبرتسن سمث) وجوه شبه كبير بين فكرة العرب عن الجن وبين فكرة بعض القبائل البدائية عن الحيوانات . إن رأي الجاهليين في الجن في رأيـه يشبه رأي المتوحشين الطوطميين في الحيوانات الوحشية . وفي القصص الذي يرويه البدائيون عن الحيوانات الوحشية وعن أرواحها وامكان احداثها الأمراض والأذى بالانسان شبّه بهذا القصص المروي عن الحيوانات الوحشية ، مما جعله يتصور ان فكرة الجن عند الجاهليين هي تطور لهذه النظرية القديمة التي تكون عند الطوطميين. انتقلت اليهم من عقيدة سابقة تطورت من عهد عبادة الطوطم. وان الجن(طوطمية) دون ان يكون لها قوم يشعرون بوجود صلة نسب وقربى بها[4] .

ولكن من الصعب تصور ظهور فكـــرة الجن عند عرب الجاهلية برمتها من

---

١ Ency. Religi., I, p. 669, Nöldeke, Moallakat, I, 69, 78, Shorter Ency., p. 91, Ency., I, p. 1045.

٢ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) ، اللسان (٩٥/١٣ وما بعدها) ، (جنن) .

٣ Ency. Religi., I, p. 670.

٤ Robertson Smith, Marriage, p. 128.

الطوطمية ، لأن هناك أموراً عديدة لا يمكن تفسيرها على وفق هـذه النظرية . ولكننا نستطيع ان نقول انها نوع من أنواع الـ (Animism) [1] . وقد وجدت عند العبرانيين في عهودهم القديمة ، كما كانت عند البابليين وغيرهم .

واذا سكن الجني مع الناس ، قالوا : عامر ، والجمع عمّار ، وإن كان ممن يعرض للصبيان ، فهم أرواح ، فإن خبث أحدهم وتعرّم ، فهو شيطان . فإن زاد على ذلك ، فهو مارد . فإن زاد على ذلك في القوة ، فهو عفريت . فإن طهر الجني ونظف ونقي وصار خيراً كله فهو ملك. وهم في الجملة جن وخوافي[2] .

لقد لعب الايمان بالجن عند بعض الجاهليين دوراً فاق الدور الذي لعبته الآلهة في مخيلتهم،فنسبوا اليها أعمالاً لم ينسبوها الى الأرباب ، وتقربوا اليها لاسترضائها أكثر من تقربهم الى الآلهة . إنها عناصر مخيفة راعبة . تؤذي من يؤذيها وتلحق به الأذى والأمراض ، ولذلك كان استرضاؤها لازماً لأمن تلك الآفات . وهذه العقيدة جعلت الجن في الواقع آلهة ، بل أكثر سلطة ونفوذاً منها ، وصيّرت عمل الآلهة سهلاً يسيراً تجاه الأعمال التي يقوم بها الجن . ولا زال أثر هـذه العقيدة باقياً في نفوس النـاس حتى الأيام ، مع تقليل أهمية عمل الجن على الإنسان في الاسلام .

وليست هذه العقيدة عقيدة أهل الجاهلية حسب ، بل هي عقيدة أكثر مـن اعتقد بأثر الأرواح في العالم وفي عمل الإنسان ، اذ صيرتها آلهة مقرّها الأرض ، أو آلهة من الدرجة الثانية . والغريب أننا نرى بعض الشعوب تخصص أعمال الآلهة الكبيرة بناحية معينة ، وتعتبرها آلهة رئيسية كبرى ، بينما تجعل عمل الجن عمـلاً واسعاً يشمل كـل الأرض والانسان ، أي أن عملها أوسع جداً من عمـل تلك الآلهة وأهم .

وفي القرآن الكريم ان قريشاً جعلت بين الله وبين الجنة نسباً : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ، ولقد علمت الجنّة انهم لمحضرون »[3] ، وانهـا جعلت الجن شركاء له : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون »[4] . أي جعلوا لله الجـن شركاء في عبادتهم

---

١ المصدر نفسه .
٢ الحيوان (٦/ ١٩٠ وما بعدها) .
٣ الصافات ، الآية ١٥٨ .
٤ الانعام ، الآية ١٠٠ .

اياه ، وخرقوا له بنين وبنات ، وتخرصوا لله كذباً ، فافتعلوا له بنين وبنـــات جهلاً وكذبـــاً[1] . وورد ان الله تزوج الجن ، وان الملائكة هم بناته من هذا الزواج . « قال كبار قريش : الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : بنات سراة الجن »[2] .

ويفهم من القرآن الكريم أيضاً ان من العرب من كان يعبد الجن : « قالوا : سبحانك ، أنت ولينـــا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجـــن ، أكثرهم بهم مؤمنون »[3] . وذكر (ابن الكلبي) ان (بني مليح) من خزاعة رهط طلحة الطلحات ، كانوا ممن تعبد للجن من الجاهليين[4] . ويزعمون ان الجن تتراءى لهم[5] . وفيهم نزلت : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم »[6] . وذكـــر ان قبائل من العرب عبدت الجن ، أو صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن . ويقولون هم بنات الله[7] ، فأنزل الله : « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة . أيهم أقرب . ويرجون رحمته ويخافون عذابه . إن عذاب ربك كان محذوراً »[8] .

وليس لدى المفسرين أو أهل الأخبار علم واضح عن كيفية اعتقاد بعض العرب بألوهية الجن ومصاهرتها للآلهة أو الإلـه . وما ورد عن ذلك في القرآن ، مجمل . والظاهر أن ذاكرة الأخباريين لم تتمكن من حفظ تفاصيل هذه العقيدة والعقائـــد المماثلة الأخرى ، ولا بـــد وأن تكون لها أسطورة قديمة ، يظهر أنها ماتت قبل الاسلام ، أو أن المسلمين تركوا روايتها لمعارضتها للإسلام ولأنها كانت في نظرهم خرافة تتعلق بأصنام ، فلم يروا الاهتمام بها ، وتركوها ، ولولا ورود ذكرهـــا مقتضباً في القرآن ، فلربما صرنا في جهل تام بأمر تلك العبادة .

ويرى (نولدكه) أن الجاهليين لم يتعبدوا للجن ، ولم يتخذوها آلهة على نحو

---

١ تفسير الطبري (١٩٧/٧) .
٢ لباب النقول في أسباب النزول ، للسيوطي (٨١/٢ وما بعدهـــا) ، حاشية على تفسير الجلالين .
٣ سبأ ، الآية ٤١ .
٤ الاصنام (٣٤) ، الاشتقاق (٢٧٦) .
٥ تفسير القرطبي (٣٠٩/١٤) .
٦ الاعراف ، الآية ١٩٣ .
٧ تفسر الطبري (٧٢/١٥) .
٨ الاسراء ، الرقم ١٧ ، الآية ٥٧ .

ما نفهم من معنى الآلهة ، وأن (عبد الجن) ، وإن دل على التعبد للجن ، إلا أن هذه التسمية لا تدل حتماً على عبادة للجن[1] .

وتتألف الجن من عشائر وقبائل ، تربط بينها رابطة القربى وصلة الرحم . وهي كعشائر وقبائل جزيرة العرب ، تتقاتل فيما بينها ، ويغزو بعضها بعضاً . ولها أسماء ذكر بعضاً منها أهل الأخبار ، كما أن لها ملوكاً وحكاماً وسادات قبائل . فهي في حياتها تحيا على شكل نظام حياة الجاهليين . واذا اعتدى معتد على جان انتقمت قبيلته كلها من المعتدي أو المعتدين . وبين قبائل الجن عصبية شديدة ، كعصبية القبيلة عند الجاهليين ، وهي تراعي حرمة الجوار ، وتحفظ الذمم والعقود وتعقد الأحلاف . فنحن إذن أمام حياة جاهلية مستترة غير منظورة ، هي حياة جن جاهليين . ومن الجن (بنو غزوان)[2] ، (بنو عزوان)[3] .

وقد تتقاتل طوائف من الجن ، فيثير قتالها عواصف الغبار ، ولذلك فسر الجاهليون حدوث العواصف والزوابع بفعل الجن . ونجد هذه الفكرة فكرة إحداث الجن للرياح والعواصف في المزامير من أسفار التوراة[4] .

وهم مثل البشر ، فيهم الحضر ، أهل القرار ، وفيهم المتنقلة وهم أعراب الجن ، وفيهم من يسير بالنهار ، وفيهم من يسير بالليل ، وهم (سراة الجن) ، و (السراة) . قال الشاعر :

أتوا ناري فقلت منون قالوا : سراة الجن ، قلت : عموا ظلاما[5]

وللجن كما للانس سادة ورؤساء وعظماء ، نذكر منهم : الشنقناق والشيصبان . وقد ذكر الأول في شعر (بشار بن برد) وفي شعر لأبي النجم ، وفي شعر حسان بن ثابت[6] . و (دحرش) أبو قبيلة من الجن[7] .

وعقد الجاهليون أحلافاً مع الجن على التعاون والتعاضد ، فقد ذكر ان قوماً

---

١ Ency. Religi., I, p. 670.
٢ اللسان (٥/٨٩) ، (وبنو غزوان ، حي من الجن) ، (فرر) .
٣ تاج العروس (١٠/٢٤١) ، (عزا) .
٤ المزمور ١٠٤ ، الآية الرابعة ، Reste, S. 151.
٥ تاج العروس (١٠/١٧٤) ، (سرى) .
٦ الحيوان (١/٣٠٨) ، (٦/٢٢٨ ، ٢٣١) ، ثمار القلوب (٥٥) .
٧ تاج العروس (٤/٣١٠) ، (دحرش) .

من العرب ، كانوا قد تحالفوا مع قوم من الجن من (بني مالك بن أقيش)[1].

ويذكر الرواة قصصاً عن الجن مع الإنسان . يذكرون أن (تأبط شراً) رفع كبشاً تحت إبطه ، وأخذه معه الى الحي ، فصار يبول عليه في الطريق ، حتى إذا قرب من مكانه ، ثقل عليه ، فرمى به ، فإذا هو الغول[2] . ويذكرون أن ابن امرأة من الجن أراد الحج في الجاهلية ، فخافت عليه أمه من سفهاء قريش، ولكنه ألحّ عليها بأن تسمح له بالذهاب . فلما أكمل الطواف ، وصار ببعض دور بني سهم ، عرض له شاب منهم فقتله ، فثارت غبرة شديدة بمكة، ومات من بني سهم خلق كثير قتلهم الجنّ انتقاماً منهم لقتل الجان ، فنهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها ، فركبوا الجبال والشعاب بالثنيّة ، فما تركوا حيّة ولا عقرباً ولا عظاية ولا خنفساء ولا شيئاً من الهوام يدب على وجه الأرض إلا قتلوه ، حتى ضجت الجن ، فصاح صائحهم من على أبي قبيس يطلب وساطة قريش بينهم وبين بني سهم الذين قتلوا منهم أضعاف ما قتله الجن من بني سهم، فتوسطت قريش ، وأنهي النزاع ، وتغلب بنو سهم على الجن[3] .

والجن مثل البشر ، يعتدون كذلك ، ولا يردعهم من اعتدائهم إلا القوة . هذا رجل من (بني سهم) يقص علينا في الاسلام انه كان بـ (تبالة) يراجع نخلاً له ، وبين يديه جارية له ، فصرعت، فأدرك ان الجن هم الذين صرعوها، فوقف عليها قائلاً : يا معشر الجن ! أنا رجل من بني سهم،وقد علمتم ما كان بيننا وبينكم في الجاهلية من الحرب وما صرنا اليه من الصلح والعهد والميثاق ان لا يغدر بعضنا ببعض ، ولا يعود إلى مكروه صاحبه ، فإن وفيتم وفينا ، وإن غدرتم عدنا الى ما تعرفون . فخافت الجن من هذا التهديد ، وأفاقت الجارية ، ولم يصبها بعد ذلك مكروه[4] .

وذهب الجاهليون الى جواز قتل الجن للانسان . وقد بقي هذا الاعتقاد

---

١ الطبري (٢/٣٤٩) ، (دار المعارف) .
٢ الاغاني (١٨/٢١٠ وما بعدها) .
٣ الازرقي (٢/١١ وما بعدها) ، « المطبعة الماجدية بمكة » .
٤ الازرقي (٢/١٢ وما بعدها) .

في الإسلام . فلما قتل (سعد بن عبادة بن دليم) ، زعم أن الجن قتلته[1] . ولما قتل المغني المعروف (الغريض) ، وهو من الموالي ، وكان نشأ خيّاطاً ثم أخذ الغناء بمكة عن (ابن سريج)،زعم أن الجن نهته أن يغني لحنه الذي يقول فيه :

تشرب لـــون الرازقي بياضـــه أو الزعفران خالط المسك رادعه

فلما لم ينته قتلته الجن في ذلك خنقاً[2] .

وزعم أن الجن خنقت (حرب بن أمية) ، وقالت الجن في ذلك شعراً[3] . وقتلت (مِرْداس بن أبي عامر) ، أبا (عباس بن مرداس) ، واستهوت (سنان بن حارثة)،ليستفحلوه،فمات فيهم . واستهووا (طالب بن أبي طالب)، فلم يعثر أهله له على أثر ، واستهووا (عمرو بن عـــدي) اللّخمي الملك ، ثم ردّوه على خاله (جذيمة بن الأبرش) ، بعد سنين وسنين . واستهووا (عمارة ابن الوليد بن المغيرة) ، ونفخوا في أحليله ، فصار مع الوحش[4] .

ويروي أهل الأخبار ان الجن تتصادق مع الانسان وتتباغض معه ، وقد تقتله، ورووا في ذلك قصصاً ، وذكروا أنها قد تتألم لوفاة رجل طيب أو شهير محبوب . وقد تعطف على المحتاجين والمعوزين . وفي جملة ما قالوه عن الجن ان (أبا هالة) كان قد خرج في الجاهلية في عِير لقريش يريد الشأم ، فنزل وادياً يقال له : (عز) ، وانتبه آخر الليل فاذا شيخ قائم على صخرة ، وهـــو ينشد شعراً في رثاء عبدالله بن جُدعان ، وكان ذلك الشيخ جان من الجن . وقد ذكر أهـــل الأخبار محاورة من الشعر قالوا انها جرت بين (أبي هالة) ، وبين ذلك الشيخ

---

١ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٢/٣٧٣) ، المعارف ١١٢ ، الحيوان (٦/٢٠٩) ، الاشتقاق (٤٥٦) . وسمعوا الهاتف يقول :

فـد قتلنـــا سيد الخـــزر ج سعـــد بـــن عبـــــاده
ورميـنـــاه بسهمـــين فلـــم نخـــط فـــؤاده

الحيوان (٦/٢٠٩) ، (هارون) ، (١/٣٠٨) .

٢ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٢/٣٧٣) ، الاغانى (٢/١٣٦ ، ١٤٣) ، الحيوان (٦/٢٠٨) ، (هارون) ، الحيوان (١/٣٠٧) .

٣ الحيوان (١/٣٠٢) ، (هارون) . وقالت الجن :

وقبـــر حـــرب بمكـــان قفـــر وليس قـــرب قبـــر حـــرب قبـــر

الحيوان (٦/٢٠٧) ، (هارون) .

٤ الحيوان (٦/٢٠٩ وما بعدها) ، (هارون) .

الجني الذي عين وقت وفـــاة (عبدالله بن جدعان) ، وثبته بالضبط ، فكان كما قال[1] .

وقد يقع الحب بين الجن والإنس . فقد ذكر ان الجنية قد تتبع الرجل تحبه، ويقال لها : تابعة . ومن ذلك قولهم : معه تابعة ، أي من الجن . والتابعة جنّية تتبع الانسان . كما يكون للمرأة تابع من الجن ، يتبع المرأة يحبها[2] . وقد يعشق الجني امرأة ويتصادق معها . هذا (منظور) الجني ، عشق امرأة اسمها (حبّة)، وتصادق معها ، فكانت (حبة) تتطبب بما يعلمها منظور[3] .

وقد يسرق الجن الأطفال والرجـال والنساء ، وللأخباريين قصص يروونه في ذلك . وينسب فقدان الأشخاص في البوادي إلى الجن في الغالب . غير انهـــا قد تنفع الناس أيضاً ، لأن من الجن من هو طيب النفس ، مفيد نافع ، ولا سيما اذا ما تقرب اليها الانسان وأحسن اليها . رأى الشاعر عبيد بن الأبرص حية، فسقاها . فلما ضل جمل له وتاه ، نادى هاتف بصوت مسموع سمعـــه عبيد بن الأبرص مشيراً إلى الموضع الذي ذهب الجمل اليه . فذهب عبيد إلى المكان، وجاء بجمله[4] . وكان هذا الهاتف هو صوت الحية التي هي جان من الجن .

وقد يتصاهر الإنسان مع الجن ، فقد كان لعمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي زوج من الجن : ولكنها لم تبق معه ، بل اختفت بعد ذلك عند ظهور البرق[5] . ونسبت بعض الأسر والقبائل مثل (بني مالك) ، و (بني شيصبان) ، و(بني يربوع بن حنظلة) وعرفوا ببني السعلاة الى الجـــن[6] . ونسب بعض الأخباريين نسب بلقيس وذي القرنين الى الجن[7] . وذكر أيضاً أن زوج (عمرو بن يربوع التميمي) كانت سعلاة ، أقامت مع زوجها في (بني تميم) : فلما رأت برقاً يلمع من شق بلاد السعالى ، حنت وطارت اليهم ، فقال شاعرهم :

---

١ الاشتقاق (ص ٨٨ وما بعدها) .
٢ اللسان (٨/٢٩) ، (تبع) .
٣ تاج العروس (١/١٩٨) ، (حب) .
٤ الاساطير العربية (٧٩) ، Reste, 154. ff.
٥ الحماسة (١/٥٦١) ، (طبعة فراياغ) ، بلوغ الارب (٢/٣٤٠) ، الحيوان (١/ ١٨٥ وما بعدها ، ١٨٨) ، (هارون) . Reste, S. 154.
٦ الاساطير العربية (٧٥) .
٧ بلوغ الارب (٢/٣٤٩) ، الحيوان (١/١٨٧ وما بعدها) .

رأى برقاً فأوضع فوق بكر فلا بك ما أسأل وما أغاما[1]

وفي ذلك قال (علباء بن أرقم) :

يا قاتل الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات[2]

وقد تعرض (الجاحظ) لموضوع زواج الانس بالجن وبالعكس ، أي زواج الجن بالانس . وتعرض لقول من قال إن (بلقيس) كانت من امرأة جنّية . وذكر آراء الناس في هذا الزواج المختلط ، الذي شك في امكان انجاب نسل منه . وقال : « وقد يكون هذا الذي نسمعه من اليمانية والقحطانية ، ونقرؤه في كتب السيرة ، قص به القصاص ، وسمروا به عند الملوك »[3] . وقد كان لأهل اليمن قصص وأساطير ، بدليل ما نلاحظه من أن معظم رواة القصص القديم كانوا من أهل اليمن في صدر الإسلام . ويظهر أنهم حذقوا به وتفوقوا به على بقية العرب الذين نسميهم العدنانيين بسبب دخول كثير منهم في اليهودية وفي النصرانية وشرائهم الكتب،وفيها قصص من قصص أهل الكتاب والأساطير القديمة، فمزجوه مع ما كان لهم من قصص وثني قديم .

وقد أطلق (الجاحظ) على قول الناس بزواج الانس بالجن وبالعكس (الزواج المركب) ، وأشار إلى قول الشاعر علباء بن أرقم :

يا قاتَلَ اللهُ بني السعلاة عمراً وقابوساً شرار النات

انه الدليل على ان السعلاة تلد الناس . هذا سوى ما قالوا في الشق وواق واق ودُوال باي وفي الناس والنسناس[4] .

وذكر أيضاً ان أعراب بني مرة تزعم ان الجن استهوت سناناً بن أبي حارثة المريّ ، وهو والد هرم بن سنان ، لتستفحله إذ كان منجباً ، وكان سنان قد

---

١ الحيوان (١/١٨٦) ، (هارون) ، (٦/١٩٧) .
٢ الحيوان (٦/١٦١) ، اللسان (٢/٤٠٧) ، نوادر أبي زيد (١٠٤ ، ١٤٧) ، المخصص (٣/٢٦) (١٣/٢٨٣) ، الامالي ، للقالي (٢/٦٨) ، محاضرات الراغب (٢/٢٨١) ، الحصائص (٤٥١) ، الفصول والغايات (٢١٠) .
٣ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٢/٣٧١) .
٤ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٢/٣٧٤) ، الحيوان (١/١٨٩) ، (هارون) .

هام على وجهه[1] .

وقد وجه الانسان جميع مواهبه منذ أقدم ايامه لتسخير عالم الأرواح ، وجعله في خدمته وتحت تصرفه ، أو لتحويله بحسب رغباته ، وتجنب ضرره وأذاه . قام بذلك رجال الدين خاصة ، ورجال الدين بحكم اتصالهم بالآلهة وبالعالم غير المنظور ، هم خلفاء الآلهة على وجه الأرض ، وألسنة الأرواح الناطقة بين الناس . فكانوا حكاماً ورجال دين وسحرة وأطباء وعلماء ، كما قام بذلك المنجمون والسحرة والكهّان وغيرهم ممن تكهن وتحدث عن الغيب ، وأظهر ان في قدرته التأثير على حياة الانسان ونفعه وضره بالاستعانة بعالم الأرواح وبما عنده من قدرات خارقة في امكانها اختراق حجب الأسرار والتحكم في العالم الخفي لتحويله إلى صالح انسان أو إلى الاضرار به .

وليس الجاهليون بدعاً في هذه الأمور ، بل كان غيرهم من الشعوب كالعبرانيين والبابليين والاغريق والرومان والمصريين والهنود وكل الشعوب الأخرى تعتقد بذلك . ولها رجال ادعوا العلم .

وقد كان الجاهليون يعلقون الحلي والجلاجل على (اللديغ) ، يفعلون ذلك لاعتقادهم انه يفيق بذلك ، فلا ينام ، ولو نام ، سرى السم في جسمه ، فمات . وذهب بعضهم إلى ان تعليق الحلي على اللديغ يبرئه من ألمه . أما إذا علق الرصاص عليه ، أو حلي به ، فانه يموت[2] .

وتقوم الجن بأعمالها بشكل غير منظور في الغالب ، لأنها أرواح . وهي قد تحذّر الانسان أو ترشده الى شيء يريده بصوت جهوري مسموع ، يقال له : الهاتف ، دون أن يرى الشخص أو الأشخاص صاحب ذلك الصوت . وهي تنبىء عن المستقبل كما تتحدث عن الماضي[3] . وقد ذكر (الجاحظ) أن « الأعراب وأشباه الأعراب لا يتحاشون من الإيمان بالهاتف ، بل يتعجبون ممن ردّ ذلك » . ثم قال : « قالوا : ولنقل الجن الأخبار علمَ الناس بوفاة الملوك ، والأمور المهمة ، كما تسامعوا بموت المنصور بالبصرة وفي اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة . وهذا الباب أيضاً كثير »[4] .

---

١ المصدر نفسه (ص ٣٧٥) ، الحيوان (٢٤/٧) ، الميداني (٢٠٢/١) .
٢ بلوغ الارب (٣٠٤/٢) .
٣ الحيوان (٢٠٢/٦) .
٤ الحيوان (٢٠٢/٦ وما بعدها) .

والجن وان كانت من الأرواح ، أي أنها غير منظورة ، إلاّ أن في استطاعتها أن تتجسم متى شاءت . فتظهر على هيئة جسم من الأجسام . إذ أن للجن قدرة على التشكل بالشكل الذي تريده ، تظهر في صورة حيوان أو في صورة إنسان أو غير ذلك . ومن هنا نجد قصص مصاهرة الانسان للجن ، وظهور نسل وأسر من هذا الزواج . وفي استطاعتها أيضاً تغيير الشكل الذي ظهرت به بشكل آخر حيث تشاء[1] . كما ورد ذلك في قصة الشاعر (تأبط شراً) والكبش الذي حمله، بينما هو جني . ومن هنا تختلف طبيعتها عن طبيعة البشر والحيوان .

وقد تتمثل الجن في صور حيوانات مشعرة ، أي ذات شعر كثيف . فالجن عند الشعوب السامية ذات شعر كثيف ، لذلك قيل لها (سعريم) (Sa'irim) في العبرانية . وهي تختار الأماكن الموحشة المقفرة في الظلام ، مثل رهبان الليل (ليليت) (Lilith) ، وتذهب مع الحيوانات التي تنفر من الانسان مثل النعامة[2] .

وفي الأساطير الجاهلية ان البقر اذا أوردت « فلم ترد ، ضربوا الثور ليقتحم الماء ، فتقتحم البقر بعده ، ويقولون إن الجن تصدّ البقر عن الماء ، وان الشيطان يركب قرني الثور »[3] . وقد ذكرت هذه الأسطورة في أشعار جاهلية ، يظهر من نقدها ودراستها انها من آثار العقائد الجاهلية في الجن . وقد اتخذت مثلاً لمن ينزل عليه مكروه في سبيل إخافة غيره ، فيكون بذلك كبش الفداء . واعتقادهم ان الشيطان يركب قرني الثور ، هو الذي جعلهم يتصورون ان الثور يتقدم البقر في شرب الماء ، ذلك لأن الشيطان ركب قرنيه ، فلا تخشى الثور اذن من الجن، والشيطان أخبث أنواع الجن وأذكاها . فتخافه الجن ، وتفسح المجال للبقر في ورود الماء . أما ضرب الثور لتوجيهه إلى الماء ، فلأجل ان الشيطان ركب قرنيه، فبضربه وبتقدمه يتقدم الشيطان نحو الماء فتخافه الجن وتفزع منه ، وتسمح للبقر بورود الماء ، ولهذا ضرب ، ليستفيد بذلك غيره[4] .

---

١ Robertson Smith, Lectures on the Religion of the Semite, p. 120.

٢ Robertson, p. 120, B.C. Thompson, Semitic Magic, London, 1908, p. 57.

٣ قال الاعشى :

لكالثور والجنـي يضرب وجهه ... وما ذنبه ان عافت الماء بافر

ولغيره :

انى وقتلى سليكا حين أعقله ... كالثور يضرب لما عافت البقر

٤ بلوغ الارب (٢/٣٠٣ وما بعدها) .

وأهم مواطن الجن في نظر الجاهليين ، هي المواضع الموحشة ، والأماكن المقفرة التي لا تطرق إلا نادراً والمحلات التي لا تلائم الصحة، والمقابر والأماكن المظلمة والمهجورة . ففي مثل هـذه المواطن تنزل الجن ، وتفضل الاقامة بها ، وسبب ذلك ، هو أن الانسان يخشى هذه المواضع ، ويحس بشيء من الخوف والوحشة من الدخول اليها ، فقد يتعرض فيها الى التهلكة ، فأوحى هذا الاحساس اليه أنهـا (مسكونة) ، وأن سكانها هم الجن . وأنهم قد يتعرضون له بسوء إن لم يعرف كيف يسلك سلوكاً طيباً معها،ولذلك صار يتحاشى ولوج هذه المواضع، لا سيما في الليالي المظلمة ، واذا دخلها مضطراً ، تخيـل الأشباح والأرواح وهي تلعب به كيف تشاء ، وتحوم حوله . ومن هنا ظهر عنده القصص المروي عن مواطن الجن .

وسكنت الجن المواضع المظلمة والفجوات العميقة فيها وباطن الأرض ، ولذلك قيل لها : ساكنو الأرض . كما سكنت المقابر[1] . والمقابر هي من المواضع الرئيسية المهمة المأهولة بالجن ، ولذلك يخشى كثير من الناس ارتيادها ليلاً . وهي لا بد أن تكون على هذه الصفة ، فهي مواطن الموتى ، وأرواح الموتى تطوف على القبور ، والموت نفسه شيء مخيف ، والجن أنفسها أرواح مخيفة ، فهل يوجد موضع أنسب من هذا الوضع لسكن الجن ؟

وتزعم الأعراب أن الجن سكنت (وبار) . وحمتها من كل من أرادها ؛ وهي بلاد من أخصب بلاد العرب ، وأكثرها شجراً ، وأطيبها ثمراً ، وأكثرها حباً وعنباً . فإن دنا إنسان من تلك البلاد ، متعمداً أو غالطاً ، حثوا في وجهه التراب ، فإن أبى الرجوع خبلوه ، وربما قتلوه . فليس في تلك البلاد إلا الجن، والإبل الحوشية[2] .

وقد زعم ان (يبرين) من مواطن الجن . وكانت في الأصل مواضع عاد . فلما هلكت ، سكنتها قبائل الجن . وقد روى أهـل الأخبار قصصاً عنها وعن اتصالها بالانسان . وزعم بعض منهـم ان (النسناس) ، هم قوم من الجن[3] .

---

١ Reste, S. 151.

٢ الحيوان (٦/٢١٥ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (٤/٢٥٧) ، (نس) .

وقد ورد مثل هذه الأقوال عن مواضع أخرى كانت عامرة آهلة، ثم أقفرت، مثل الحجر موضع ديار ثمود[1] ، مما يدل على ان من اعتقادات العرب قبل الاسلام هو ان المواضع التي تصيبها الكوارث تكون بعد هلاك أصحابها مواطن للجن . ونجد مثل هذه الأساطير عند العبرانيين وعند غيرهم من الشعوب[2] .

وأشير في شعر (لبيد) الى (جن البدي) . قيل : « والبدي : البادية ، أو موضع بعينه » وقيل واد لبني عامر[3] . وأشار (النابغة) الى (جنة البقار) . وذكر ان البقار واد ، أو رملة ، أو جبل ، سكنته الجـــن ، فنسبت اليه[4] . وأشير إلى (جنة عبقر) في شعر (زهير) و (لبيد) و (حاتم)[5] . وعبقر أرض بالبادية كثيرة الجن ، وذكر بعضهم انها باليمن[6] ، قال لبيد :

ومن فاد من اخوانهم وبنيهم كهول وشبان كجنة عبقر

وقال بعض العلماء : عبقر قرية يسكنها الجن فيما زعموا ، فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق أو شيئاً عظيماً في نفسه نسبوه اليها . ولهذا قالوا : العبقري للسيد الكامل من كل شيء ، وللذكي الممتاز[7] .

والمواضع المذكورة هي المواضع المفضلة المختارة لسكنى الجن . غير أن مواطن الجن غير محدودة ولا معينة ، إنها تسكن كل موضع ومكان ، حتى بيوت الناس لا تخلو منها ، بل حتى البحار والسماء لا تخلو منها كذلك ، فدولتها إذن عـــلى هذا الوصف أوسع من دولة الإنسان . وعلى من سكنت الجن بيته ألا يمسها بأذى ولا يلحق بها أي سوء ، وأن يقوم بترضيتها بالبخور وبما شاكل ذلك مما تحبـــه الجن ، وإلا أساءت اليه ، وجعلت بيته مؤذياً شؤماً ، لا يرى من يسكن فيه أي خير .

---

١ Reste, S. 150.
٢ Robertson, p. 120.
٣ الحيوان (٦/١٨٩) ، (هارون) .
٤ الحيوان (٦/١٨٩) ، اللسان (٦/٤٧) ، (١٢/٣٣٠) .
٥ الحيوان (٦/١٨٩) ، اللسان (٦/٢٠٩) ، البلدان (٦/١١٣) ، ثمار القلـــوب (١٨٨) .
٦ تاج العروس (٣/٣٧٩) ، (عبقر) ، اللسان (٤/٥٣٤) .
٧ تاج العروس (/٣٧٩) ، (عبقر) .

وكان الرجل في الجاهلية إذا اطّرف داراً ذبح فيها ذبيحة ، يتقي بهـا أذى الجن ، لاعتقادهم ان في كل دار جنّاً يقيمون بها فلترضيتهم وللتقرب اليهم ، يذبحون ذبيحة عرفت عندهم بـ (ذبائح الجن)[1] . ولا تزال عادة الناس ذبح ذبيحة عند الابتداء ببناء دار ، وعند الانتقال اليها . وكانوا أيضاً يذبحون ذبيحة عند استخراجهم عيناً ، أو شرائهم داراً ، أو بنيانهم بنياناً ، مخافة أن تصيبهم الجن ، فأضيفت الذبائح اليهم لذلك . وقد نهى النبي عن ذبائح الجن[2] .

وكان في اعتقادهم ان الأماكن المذكورة مليئة بالجن ، لذلك كانوا يستجيرون برجال من الجن في أسفارهم ، اذا نزلوا منازلهم ، يقولون : نعوذ بأعز أهل هذا المكان ، أو اني أعوذ بكبير هذا الوادي . والى ذلك أشير في القرآن الكريم: « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً »[3]. روي عن (حجاج بن علاط السلمي) ، « انه قدم مكة في ركب فأجنهم الليل بواد مخوف موحش ، فقال له الركب : قم خذ لنفسك أماناً ولأصحابك، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي من كل جني بهذا النقب
حتى أأوب سالماً وركبي »[4]

فوصل وركبه سالماً الى مكة دون أن يمسه أو أن يمس من كان معه من الركب أحد بسوء[5] .

وروي أن الرجل منهم كان إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد الى وادٍ ذي شجر فأناخ راحلته في قرارته وهي القاع المستديرة وعقلها وخطّ عليها خطاً ثم قال : « أعوذ بصاحب هذا الوادي . وربما قال بعظيم هذا الوادي »[6] . قال أحدهم :

---

١ اللسان (٢١٣/١٣) ، (سكن) .
٢ اللسان (٤٣٧/٢) ، (دبح) .
٣ سورة الجن ، رقم ٧٢ ، الآية ٦ ، تفسير الطبري (٦٧/٢٩ وما بعدها) .
٤ الروض الانف (١٣٦/١) .
٥ الروض الانف (١٣٦/١) ، الاصابة (٣١٢/١) ، (١٦٢٢) .
٦ بلوغ الارب (٣٢٥/٢) .

قد بتُ ضيفاً لعظيم الوادي المانعي من سطوة الأعادي
راحلتي في جاره وزادي[1]

وقالوا إنهم كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلاً يقولون : نعوذ بأعز أهل هذا المكان . يقولون ذلك عند نزولهم وادياً في الغالب،إذ نجد الرواة يكررون عبارة: « كانوا إذا نزلوا الوادي ، قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادي » ، أو « بعزيز هذا الوادي »[2] . ويظهر أنهم تخوفوا من الوديان خاصة ، لما قد يقع فيها من مهالك ، فنسبوا ذلك الى فعل الجن .

وقال آخر يستجير بجن (عالج) ويتوسل اليهم ألا يرهقوه بغويّ هائج ، إذ يقول :

يا جن أجزاء اللوى من عالج عاذ بكم ساري الظلام الدالج
لا ترهقوه بغويّ هائج

وقال آخر :

أعوذ من شر البلاد البيد بسيّد معظم مجيد
أصبح يأوي بلوى زرود ذي عزة وكاهل شديد

وقد استعاذ رجل منهم ومعه ولد ، فأكله الأسد فقال :

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الأعادي
فلم يجرنا من هزبر عادي[3]

وذكر أهل الأخبار أن الجاهليين كانوا يرون أن الجن تعزف في المفاوز بالليل. والعزف والعزيف صوت الجن ، وهو جرس يسمع بالمفاوز . وهو صوت يسمع بالليل كالطبل . وروي عن (ابن عباس) قوله : « كانت الجن تعزف بالليل كله بين الصفا والمروة »[4] . وقد اشتهر موضع (العزاف) ، وقيل (ابرق

---

١ بلوغ الارب (٢/٣٢٦) .
٢ تفسير الطبري (٢٩/٦٨ وما بعدها) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٢٦) .
٤ تاج العروس (٦/١٩٧) ، (عزف) .

العزاف) بأنه موضع يسمع به عزيف الجن[1] .

وقد موّن القصص الاسرائيلي أهل الجاهلية بشيء مما كان ينقصهم من أساطير الجن ، وتوسع وزاد هذا القصص في الاسلام ، حتى تولد منه هـذا الذي نجده مدوناً عن أخبار الجن في المؤلفات الاسلامية .

وتخبر الجن الانسانَ بحوادث تقع في مواضع بعيدة ، وهو لا يعلم عنها شيئاً . فلما هبط (نباش بن زرارة بن وقدان) ، زوج (خديجة بنت خويلد) قبل النبي ، وادياً يقال له (عز) ، انتبه في آخر الليل ، فاذا شيخ قائم على صخرة ، وهو يقول :

ألا هلك السيّال غيث بني فهر وذو العز والباع القديم وذو الفخر

فقال له نباش :

ألا أيها الناعي أخا الجود والفخر من المرء تنعاه لنا من بني فهر

وبقيا يقولان الأبيات ، حتى أخبره الشيـــخ بوفاة (عبدالله بن جدعان) في وقت حدده وضبطه له . فلما وصل مكة ، علم بوفاته على نحو ما أخبره به ذلك الشيخ . وهو جني من الجن ، ينظم الشعر ، وقد رثى (ابن جدعان)[2] .

ونجد في شعر الشعراء الجاهليين أمثال (أمية بن أبـي الصلت) و (الأعشى) إشارات الى الجن . وهم من أهل الجاهلية الذين كان لهم اتصال بأهـــل الكتاب وبكتبهم ، وقد زعم أن بعضاً منهم كان قد قرأ تلك الكتب ووقف على العبرانية أو السريانية . ولهذا ورد في شعرهم شيء من قصص أهل الكتاب . وفي جملته ما ذكرته من اشاراتهم الى الجن . وتراهم يربطون بينها وبين (سليمان) . أخذوا ذلك ولا شك من الأساطير العبرانية ، التي صيّرت الجن في خدمة (سليمان) . نجد الأعشى يقول :

وسخّر من جن الملائك تسعة قيامـــاً لديه يعملون محـــاربا

---

١ تاج العروس (١٩٧/٦ ، ٢٨٧) ، (برق) .
٢ الاشتقاق (٨٨ وما بعدها) .

قصد بذلك (سليمان)[1] . ونجد أن في جملة ما نسب عمله الى جن سليمان بعض المواضع مثل تدمر وقصر غمدان .

وقال النابغة الذبياني :

إلا سليمان إذ قال الإلَه له ... قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيِّس الجن إني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن عصاك فعاقبه معاقبة ... تَنْهى الظلوم ولا تقعد على ضمد[2]

وفي هذا الشعر إن صح آنه من نظم النابغة حقاً ، دلالة على تأثر الشاعر بالأسطورة اليهودية عن (تامار) ، وعن جن سليمان .

ونسبوا السيوف المأثورة الى جن وشياطين (سليمان) . ونسبوا اليه واليهم أشياء عديدة أخرى[3] .

وقد ادعى اناس من الجاهليين انهم كانوا يرون الغيلان والجن ، ويسمعون عزيف الجان ، أي صوت الجن . وقد بالغ الأعراب في ذلك ، وأغربوا في قصص الجان ، لما كانوا يتوهمونه من ظهور الأشباح لهم في تجوالهم بالفيافي المقفرة الخالية ، فتصوروه جناً وغولاً وسعالى ، وبالغوا في ذلك أيضاً ، لما وجدوه في أهل الحضر ولا سيما في الاسلام من ميل إلى سماع قصص الجان والسعالى والغول[4]. وقالوا انهم ربما نزلوا بجمع كثير ، ورأوا خياماً ، وقباباً ، وناساً ، ثم اذا بهم يفقدونهم من ساعتهم ، وذلك لأنهم من الجن[5] .

ونسبوا إلى الجن إحداث كثير من الأمور غير الطبيعية، مثل الأمراض والأوبئة والصرع والاستهواء والجنون خاصة . فالجنون هو تلبس الجن بالانسان ودخولهم جسمه . لذلك ربطوا بين الجن والجنون . ويرى (نولدكه) ان فكرة أن الجنون من عمل الجن ، عقيدة قديمة وجدت عند غير العرب كذلك . فقد كان الايرانيون

---

١ تاج العروس (٩/١٦٥) ، (جن) .
وسخر من جن الملائك تسعة ... قياما لدبه يعملون بلا أجر
اللسان (١٣/٩٧) ، (جنن) .
٢ الحيوان (٦/٢٢٣) .
٣ الحيوان (٦/١٨٧) .
٤ الحيوان (٦/١٧٢ وما بعدها ، ١٨٢) .
٥ الحيوان (٦/٢٠٠) ، (هارون) .

يطلقون على المجنون لفظة (ديوانه) (Devana) ، أي الذي به (ديو) (Dev) من الأصل (ديوه) (Daiva) ، ومعناها (Demon) أي جان . ومن هذه الفكرة دخلت في العهد الجديد من الكتاب المقدس . ومن الفارسية دخلت (ديوان) (Daiwan) في الإرمية بينما دخلت إلى الفارسية كلمة (شدها) (Shedha) من أصل (شدهان) (Shedhan) الإرمي واستعملت في مقابل (Deo) أي جان . و (شيده) (Shedh) في الإرمية الجان[1] .

وهم يزعمون أن الجن اذا عشقت انساناً صرعته ، ويكون ذلك على طريق العشق والهوى ، وشهوة النكاح . وأن الشيطان يعشق المرآة ، وان نظرته اليها من طريق العجب بها أشد عليها من حُمى أيام ، وان عين الجان أشد من عين الانسان[2] .

والعرب تزعم أن الطاعون من الجن ، ويسمون الطاعون رماح الجن . قال الأسدي للحارث الملك الغساني :

لعمرك ما خشيت على أُبيٍّ رِماح بني مقيّدة الحمار
ولكني خشيت على أُبيٍّ رِماح الجن أو إياك حار[3]

وللجنّ حوار مع الإنس وكلام نجده منثوراً كما نجده منظوماً في شعر ينسب الى الشعراء الجاهليين . ويروي الأخباريون شعراً ينسبونه الى (جذع بن سنان) ورد فيه وصف ملاقاته للجن ومحاورته معها ودعوته إياها الى الطعام وامتناعها عن الأكل ، كما رووا شعراً لغيره يصف ملاقاة بين الجن وبين أصحاب هذا الشعر[4] . وهو قصص لم يبخل على الجن فأعطاها شعراً من هذا الشعر الجاهلي الفصيح ! وقد سخر (الخيتعور) أحد (بني الشيصبان) من الجن من الأشعار التي جمعها (المرزباني) (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) ، من شعر الشعراء الجن ، فما هذا الذي جمعه إلا قطعة من شعرهم ، وهل يعرف البشر من النظم كما يعرف الجن .

---

١ Ency. Relig., I, p. 670.
٢ الحيوان (٦/٢١٧ وما بعدها) .
٣ الحيوان (٦/٢١٩) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣٥٠ وما بعدها) .

وانما للبشر خمسة عشر جنساً من الموزون ، قل ما يعدّدوها القائلون ، وإن للجن آلاف الأوزان ما سمع بها الإنس[1] .

طعام الجن :

وطعام الجن مثل طعام الانسان ، وهم يشاركونه أكلـه في بعض الأحيان . « رووا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، انه سأل المفقود الـذي استهوته الجن : ما كان طعامهم ؟ قال : الفول . قال : فمـا كان شرابهم ؟ قال : الجدف . ورووا ان طعامهم الرمة وما لم يذكر اسم الله عليه »[2] . وقد جاء قوم من الجن الى نار (شمر بن الحارث الضبّي) ، فدعاهم الى الطعام بقوله :

أتوا ناري فقلت منون قالوا سراة الجن قلت عموا ظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الإنس الطعاما[3]

والحوشي من الإبل هي التي قد ضربت فيها فحول إبل الجن . فالحوشية من نسل إبل الجن[4] . ويقال انها منسوبة إلى (الحوش) بلاد الجن من وراء رمل يبرين ، لا يمر بها أحد من الناس ، وقيل هم من بلاد الجن . وقيل الحوشية إبل الجن ، أو منسوبة الى الحوش وهي فحول جن ، تزعم العرب انها ضربت في نعم (بني مهرة بن حيدان) فنتجت النجائب المهرية من تلك الفحول الوحشية ، فنسبت اليها ، فهي لا يكاد يدركها التعب[5] .

الحية :

والحية ، من أكثر الحيوانات وروداً في القصص الـذي يرويه الأخباريون عن الجن . وقد جعلوها فصيلة مهمة من فصائلها ، ونوعاً بارزاً من أنواعهـا . قال

---

١ رسالة الغفران (٢٩١) ، (بنت الشاطىء) .
٢ الحيوان (٦/٢١٠ وما بعدها) .
٣ الحيوان (٦/١٩٧) .
٤ الحيوان (٦/٢١٦) .
٥ الحيوان (٤/٣٠٢) ، (حاش) .

بعض العلماء : الجان ، حيّة بيضاء ، وقال بعض آخر : الجان حيّة ، أو ضرب من الحيّات[1] . ولما قام (حرب بن أمية) جد معاوية بن أبي سفيان مع (مرداس ابن أبي عمرو) باصلاح (القرية) ، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام، فأضرما النار في الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهيبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها ، فما لبث أن مـات الرجلان ، أماتهما الجن على ما يزعمه رواة هذا الخبر[2] . ولعلهما ماتا بعضة حية من تلك الحيات التي كانت ساكنة بين تلك الأعشاب وقد هاجتها تلك النيران . ومثل هذه المواضع تكون موئلاً للحيات والحشرات ، فابتدعت مخيلة القصاصين هذه القصة عن فزع الجن وطيرانها في صورة ثعابين بيض . ويعلل (نولدكه) وفاتهما بفعل الاختناق من الغاز الذي تصاعد من الاحتراق[3].

وذكروا أن الحيّة لا تموت حتف أنفها ، وإنما تموت بعرض يعرض لها . وانها تصبر على الجوع حتى ضرب بها المثل في ذلك . وانها اذا هرمت صغرت في بدنها . ولم تشته الطعام[4] . وانها تنطق وتسمع . وقد أورد أهل الأخبار شعراً في ذلك ، ذكروا أنه للنابغة . ومذهب النابغة في الحيات مذهب أمية بن أبي الصلت ، وعدي بن زيد وغيرهما من الشعراء[5] ، الذين تأثروا برأي أهل الكتاب فيما جاء عن الحية في العهدين وفي كتب الشروح والتفاسير والقصص الاسرائيلي القديم .

ولم تنفرد مخيلة الجاهليين وحدها باختراع اسطورة ان الحيات هي من الجن ، وانها جنس منها ، فان غير العرب من الساميين مثل العبرانيين كانوا يقولون أيضاً بهذا القول . وكذلك قال بهذه الأسطورة غير الساميين ، مما يدل على انه من الأساطير القديمة جداً التي انتشرت عند البشر ، بسبب ما قاسوه في ايام بداوتهم من هذا الحيوان[6] . ونجد قصة الحية في سفر التكوين . وهي في هذا السفر أشد

---

١ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) .
٢ الحيوان (١٤٣/٢) ، (حاشية) ، Robertson, p. 233.
٣ Ency. Religi., I, p. 670.
٤ الحيوان (١١٨/٤ وما بعدها) ، (موت الحية) .
٥ الحيوان (٢٠٣/٤ وما بعدها) .
٦ Ency. Religi., I, p. 669.

الحيوانات حيلة ، فهي التي خدعت حواء خدعتها الشهيرة ، وسببت طردها وطرد زوجها آدم من الجنة الى الأرض[1] .

ولعقيدتهم هذه في (الحية) ، كانوا اذا وجدوا حية ميتة كفنوها ودفنوها ، فعلوا ذلك في الاسلام أيضاً . جاء انه بينما كان (عمر بن عبد العزيز) يمشي في أرض فلاة ، فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها . وورد انـه كان جمع من أصحاب رسول الله « يمشون فرفع لهم اعصار ، ثم جاء اعصار أعظم منه ، ثم انقشع ، فاذا حية قتيل ، فعمد رجل منا الى ردائه وكفّن الحية ببعضه ودفنها . فلما جنّ الليل اذا امرأتان تتساءلان أيكم دفن عمرو بن جابر ؟ فقلنا ما ندري ما عمرو بن جابر ! فقالتا إن كنتم ابتغيتم الأجـر ، فقد وجدتموه . إن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين منهم . فقتل عمرو ، وهو الحية التي رأيتم »[2] .

« وفي الحديث : انه نهى عن قتل الجنان . هي الحيات التي تكون في البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف »[3] . والجان الشيطان أيضاً . وورد في الحديث : ذكر الحيات ، فقال : من خشي خبثهن وشرهن واربهن ، فليس منّـا . أي من توقى قتلهن خشية شرّهن فليس ذلك من سنتنا . وكانت الجاهلية تقول انها تؤذي قاتلها أو تصيبه بخبل[4] .

وذكر العلماء أن (اللاهة) الحية ، أو الحية العظيمة . وأن (اللات) ، الصنم المعروف أصله (لاهة) كأنه سمي بها . وان اسم الجلالة منها[5] . وفي الأساطير الجاهلية ما يفيد تعبد الجاهليين للحية ، وفي هذا التفسير ما يؤيد هذا الرأي .

ويقال للحية : (بنت طبق) . و (بنـات طبق) الحيات ، والحية (أم طبق) وبنت طبق . وهي (الدواهي) . ومن أساطيرهم أن بنت طبق سلحفاة تبيض تسعاً وتسعين بيضة كلها سلاحف ، وتبيض بيضة تنقف عن حية[6] .

والحيات شياطـين ، وللعرب شجر يطلقون عليه (الصوم) ، كريه المنظ

---

١ السفر الثالث من التكوين ، الآية ١ وما بعدها .
٢ الروض الانف (١/١٣٦) .
٣ اللسان (١٣/٩٥) ، (جنن) .
٤ تاج العروس (١/١٤٥) ، (أدب) .
٥ تاج العروس (٩/٤١٠) ، (لاه) .
٦ تاج العروس (٦/٤١٥) ، (طبق) .

جداً ، يقال لثمره (رؤوس الشياطين) أي الحيات . وليس له ورق[1] .

الغول :

وقصص الغول هي من أشهر القصص الجاهلي المذكور عن الجن ، ومع خطر الغول وشراسته في رأي الجاهليين ، ورد في قصصهم تزوج رجال من الإنس منهم . وورد ان الشاعر (تأبط شراً) تعرض بغيلة . فلما امتنعت عليه ، جللها بالسيف فقتلها . وهم يروون ان من الممكن قتل الغول بضربة سيف . أما اذا ضربت مرة ثانية ، فانها تعيش ولو من ألف ضربة . وهكذا ترى قصصهم يروي تغلب الانسان على الغيلة في بعض الأحيان . وأكثر قصص الغول منسوب الى (تأبط شراً)[2] . وللقب الذي يحمله هذا الشاعر أو حمل عليه دخل ، ولا شك، في ظهور هذا القصص .

ويرى علماء اللغة أن من معاني (الغول) التلون ، والظهور بصور مختلفة ، والاغتيال . ويرون أن الغول أنثى ، وأما ذكرها فيسمى (قطرباً)[3] . ولصفة التلون والظهور بصور مختلفة سموا الغول (حيتموراً) ، وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ، ويضمحل كالسراب[4] . وذكر في وصف غدرها بالإنسان أنها اذا أرادت أن تضل إنساناً أوقدت له ناراً ، فيقصدها ، فتدنوا منه، وتتمثل له في صور مختلفة ، فتهلكه روعاً ، وان خلقتها خلقة إنسان ، ورجلاها رجلا حمار[5] .

وذكروا ان الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسُفّار ، ويتلون في ضروب الصور والثياب ، ذكراً كان أو أنثى . وقد قال (كعب بن زهير) الشاعر الصحابي ، الذي مدح الرسول ، في وصف تلون الغول :

---

١ تاج العروس (٣٧٢/٨) ، (صام) .
٢ بلوغ الارب (٣٤١/٢ وما بعدها) ، الاغاني (٢٠٩/١٨ وما بعدها) ، الحيوان (٢٣٣/٦ ، ٢٣٥) .
٣ بلوغ الارب (٣٤٦/٢ وما بعدها) ، الحيوان (٤٨/٦) ، تاج العروس (٥١/٨) ، (غـــال) .
٤ بلوغ الارب (٣٤٧/٢) .
٥ بلوغ الارب (٣٤٨/٢) ، الحيوان (٢١٤/٦) .

فما تدوم على حالٍ تكون بها كما تلوّن في أثوابها الغول[1]

وفي تلوّن الغول يقول (عباس بن مرداس السلمي) :

أصابت العامَ رِعْلاً غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوان[2]

فالغول تتحول في أي صورة شاءت ، وتتمثل في صور مختلفة ، إلا رجليها ، فلا بد من ان تكونا رجلي حمار[3] .

وذكر ان (الغول) (السعلاة) ، وهما مترادفان ، وذكر ان الغيلان جنس من الجن والشياطين ، والعرب تسمي الحية الغول . وقيل ان (أنياب أغوال) الواردة في شعر لامرىء القيس ، الحيات ، وقيل : الشياطين[4] .

وإلى الشاعر (عبيد بن أيوب) شاعر (بني العنبر) ، يعود قسط كبير من القصص الوارد عن (الغول) و (السعلاة) . فقد كان يخبر في شعره انه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعي ، ويؤاكل الظباء والوحش. وقد أورد أهل الأخبار شيئاً من شعره في هذا الباب[5] . وذكر بعض علماء اللغة ، ان الغول الذكر من الجن ، والسعلاة الأنثى. والغول ساحرة الجن ، وتقول إن الغول يتراءى في الفلاة للناس فتضلهم عن الطريق[6] .

واما (السعالي) ، وواحدتها السعلاة ، فذكر أنها سَحَرَة الجن ، وقيل : إن الغيلان جنس منها ، وان الغيلان هي إناث الشياطين ، وأنها — أي السعالي — أخبث الغيلان ، وأكثر وجودها في الغياض ، وانها إذا ظهرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر ،وان الذئب يأكل السعلاة[7] . وذكر ان (السعلاة) اسم الواحدة من نساء الجن إذا لم تتغول لتفتن السفّار . وهم إذا رأوا المرأة

---

١ الحيوان (١٥٨/٦ وما بعدها) .
٢ الحيوان (١٦١/٦) .
٣ الحيوان (٢٢٠/٦) .
٤ تاج (٥١/٨) ، (غال) .
٥ الحيوان (٤٨٢/٤) ، (هارون) ، (١٢٣/٥ ، ١٣٨ ، ٢٤١) ، (١٢٨/٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٢٣٥ ، ٢٥١ ، ٣٩٥) .
٦ تاج العروس (٥١/٨) ، (غال) .
٧ بلوغ الارب (٣٤٦/٢ وما بعدها) .

حديدة الطرف والذهن ، سريعة الحركة ممشوقة ممحصة ، قالوا : سعلاة . وقال الأعشى :

ورجالٍ قتلى بجنبي أريك ونساءٍ كأنهـن السعالى[1]

وذكر أن في الجن سحرة كسحرة الانس لهم تلبيس وتخييل ، وهم السعالى . وهم أقدر من الغيلان في هذا الباب[2] .

الشيطان :

والشيطان هو (Satan) في الانكليزية ، و (Diabolos) في الإغريقية . ويرجع علماء اللغة كلمة (الشيطان) الى أصل (شطن) ، ويقولون إن من معاني هذه الكلمة الخبث ، ولما كان الشيطان خبيثاً قيل له (شيطان) ومعنى ذلك ان فكرة خبث الشيطان كانت معروفة لصاحبها قبل التسمية[3] . فلما بحث عن لفظة مناسبة لها ، اختاروا هذه الكلمة التي تدل على الخبث . وهو تعليل من تلك التعليلات المعروفة المألوفة التي كان يرجع اليها علماء اللغة كلما أعياهم الوصول الى أصول الأشياء .

و (الشيطان) (ساطان) (سطن) في العبرانية ، ومعناه : عدو ومشتك في هذه اللغة[4] . ومن هذه اللغة جاءت لفظة (Satan) في الانكليزية .

وذكر (الطبري) : « والشيطان في كلام العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء »[5] . ثم قال : « وانما سمي المتمرد من كل شيء شيطاناً لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله وبعده من الخير . وقد قيل انه أخذ من قول القائل شطنت داري من دارك ، يريد بذلك بعدت . ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان :

نأت بسعادٍ عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

---

١ الحيوان (٦/١٥٨ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٧/٣٧٥ وما بعدها) ، (سعل) .
٣ اللسان (١٧/١٠٤) ، (سطن) ، الحيوان (١/١٥٣ ، ٢٩١) .
٤ غرائب اللغة (٢١٢) .
٥ تفسير الطبري (١/٣٧ وما بعدها) .

والنوى الوجه الذي نوته وقصدته ، والشطون البعيد . فكأن الشيطان على هذا التأويل شطن . ومما يدل على ذلك كذلك ، قول أمية بن أبـي الصلت :

أيمـا شاطن عصاه عكـاه ثم يلقى في السجن والأكبال

ولم ترد لفظة (الشيطان) في شعر الشعراء الجاهليين ، خلا شعر (أمية بن أبـي الصلت) و (عدي بن زيد العبادي) . والأول شاعر وقف،على ما يظهر من شعره ، على شيء من اليهودية والنصرانية . وأما الثانـي ، فهو نصراني ، لذلك يجوز لنا ان نرجع علمها بالشيطان الى ما جاء في اليهودية والنصرانية عنه ، ولذلك نستطيع ان نقول ان هذه اللفظة جاءت العربَ عن طريق أهل الكتاب .

وذكر علماء اللغـة ، أن (الأزب) اسم من أسماء الشياطين ، وذكروا أن (الأزب) شيطان اسمه أزب العقبة ، وقيل هو حية[1] . وأن من أسماء الشيطان: (الحُباب) . ويقع على الحية أيضاً ، لأن الحية يقال لها شيطان ، وفي حديث : « الحباب شيطان »[2] . وذكروا أن من أسماء الشيطان (الطاغوت)[3] .

ومن الشياطين ، شيطان اسمه (زوبعة) ، وقيل هو رئيس للجن . ومنـه سمي الإعصار زوبعة ، ويقال أم زوبعة وأبو زوبعة وهو الذي يثير الاعصار ، حين يدور على نفسه ، ثم يرتفع في السماء ساطعاً كأنه عمود[4] .

وأما ما ورد في القصص عن الشياطين عند الجاهليين ، فهو يختلف عما جاء عن الشيطان في الكتب اليهودية والنصرانية ، مما يدل على أن منبعـه منبع آخر ، وان (الشيطان) عند الجاهليين ، هو غير الشيطان المعروف عند اليهود والنصارى، الذي دخل الى العرب قبيل الإسلام وفي الإسلام .

ومن القصص المذكورة ، استمد بعض الجاهليين قصصهم عن ذكاء الشيطان وعن حيلـه . ومن هذا القصص ولا شك استعمل النـاس مصطلح (تشيطن) و (الشيطنة) بمعنى الذكاء والحيلة ، لما رسخ في ذهنهم من ذلك القصص عن ذكاء الشيطان وسعة حيله وتلاعبه بأذكى البشر . وهو في التوراة ذو طبع شرير،

---

١ تاج العروس (١/١٤٧) ، (أزب) ، (١/٢٨٤) ، (زبب) .
٢ اللسان (١/٢٩٥) ، (حبب) .
٣ تفسير الطبري (١٤/٧١) ، (٢٣/١٣١ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٥/٣٦٧) ، (تزبع) .

وزعيم العصـــاة لأوامر الله ، يضل الناس ويسلك بهم سبل الخطيئـــة ، ولذلك تعوذوا منه [1] .

ومن القصص المذكور استمد أيضاً علماء اللغة ما ذكروه من ان كلمة (الشيطان) تعني الحية [2] ، ففي ذلك القصص ظهور الشيطان على صورة (حيـــة) خدعت أبوينا آدم وحواء في الجنة . وتمثّل هذا القصص في الأدبين العبراني والنصراني . وسبب ذلك هو ما علق بأذهان العبرانيين من مكر الحيات ودهائها وخبثها وميلها الى الشر ، وما علق بذهنهم عن هذه الصورة في الشيطان . والحية هي عند أكثر الشرقيين رمز يشير الى الثورة والعصيان والشر . وهـذه الفكرة هي من أسطورة شرقية قديمة عن سقوط البشرية في الشر ، وتتمثل في سقوط آدم وحواء وطردهما لذلك من الجنة ، وفي تعاليم زرادشت من ان الشرير ظهر في هيأة حية ، وأخذ يعلم الناس الشر [3] .

وزعم ان (شيطان الحماطـــة) الحيـــة [4] . وورد (شيطان حماط) . ولعل ذلك بسبب لجوء الحيات الى الحماط ، والحماطة شجرة شبيهة بالتين ، وهي أحب الشجر الى الحيات ، إذ تألفها كثيراً [5] . وفي هذا المعنى ورد في قول الشاعر :

تلاعِبُ مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بذي خروع قفر [6]

والتعمج التلوي . والمراد هنا تلوي شيطان بمكان قفر نبت فيه الخروع. وقصد بالشيطان الحية .

وقد وصف الشيطان بالقبح ، فإذا أريد تعنيف شخص وتقبيحه ، قيل له : « يا وجه الشيطان » وما هو إلا شيطان ، يريدون بذلك القبح ، وذلك عـــلى سبيل تمثيل قبحه بقبح الشيطان . وقيل : الشيطان حية ذو عرف قبيح الخلقة [7] .

---

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٦٥١) .
٢ اللسان (١٧/١٠٤) ، تاج العروس (٩/٢٥٣) ، (شطن) ، (والعرب تسمى كل حية شيطانا) ، الحيوان (١/٣٠٠) .
٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٤٠٠) ، Hastings, p. 829.
٤ الحيوان (٦/١٩٢) .
٥ تاج العروس (٥/١٢١) ، (حمط) .
٦ الحيوان (١/١٥٣) ، (٦/١٩٢) .
٧ الفاخر (ص ٢٣٨) ، الحيوان (١/٣٠٠) ، تاج العروس (٩/٢٥٣) ، (شطن) .

وقيل إنه كان حية زعم أنها تأتي حول البيت ، فلا يطوف أحد . ولما شرعوا ببناء الكعبة في أيام شباب الرسول،جاء طير فالتقط الحية[1] . ولقبح وجه الشيطان، قالوا للذي به لقوة أو شتر ، إذا سبّ : يا لطيم الشيطان . وقالوا للمتكبر الضخم : ظل الشيطان[2] . وكانوا إذا أرادوا ضرب مثل بقبح انسان قالوا : لهو أقبح من الشيطان[3] . وقالوا لشجرة تكون ببلاد اليمن،لها مظهر كريه (رؤوس الشياطين)[4] . وبهذا المعنى فسرت (رؤوس الشياطين) في الآية : « إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم : طلعها كأنه رؤوس الشياطين »[5] . « يقول تعالى ذكره كأن طلع هذه الشجرة ، يعني شجرة الزقوم في قبحه وسماجته رؤوس الشياطين في قبحها »، « وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء ، قال : كأنه شيطان ، فذلك أحد الأقوال . والثاني أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطاناً . وهي حية له عرف فيما ذكر ، قبيح الوجه والمنظر ، وإياه عنى الراجز ، بقوله :

عنجرد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحماط أعرف

ويروي عجيز : « والثالث ان يكون مثل نبت معروف برؤوس الشياطين ، ذكر انه قبيح الرأس »[6] . ويظهر ان العرب في الجاهلية ، كانوا يطلقون (رؤوس الشياطين) على شجر كريه المنظر جداً ، قال علماء اللغة : « والصوم : شجر على شكل شخص الانسان كريه المنظر جداً ، يقال لثمره رؤوس الشياطين ، يعني بالشياطين الحيات ، وليس له ورق »[7] . وقد جمع هذا التفسير بين الشياطين والحيات والقبح . ويمثل الصورة التي رسمها الناس في مخيلتهم للشياطين .

وكانت الشعراء تزعم ان الشياطين تلقى على أفواهها الشعر ، وتلقنها اياه

---

١ الفاخر (ص ٢٣٨) .
٢ الحيوان (١٧٨/٦) .
٣ الحيوان (٢١٣/٦) .
٤ الحيوان (٢١١/٦) ، (٣٩/٤ وما بعدها) .
٥ الصافات ، ٣٧ ، الآية ٦٣ وما بعدها .
٦ تفسير الطبري (٤٠/٢٣ وما بعدها) .
٧ اللسان (٣٥١/١٢ وما بعدها) ، (صوم) .

وتعينها عليه ، وتدعي ان لكل فحل منهم شيطاناً يقول الشعر على لسانه ، فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود . وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن ان ذكروا لهم أسماء شياطينهم ، فقالوا : إن اسم شيطان الأعشى مسحل ، وللأعشى أشعار فيه ، يمدحه ويثني عليه ، لأنه يعاونه ويساعده في نظم الشعر فيلقيه عليه إلقاءً . وقد زعم (حسان بن ثابت) ان شيطانه الذي يلهمه الشعر هو من (بني شيصبان) من فصائل الجن . وقد انتقلت هذه العقيدة في إلهام الشعر للشعراء إلى المسلمين كذلك . وقد دعا (جرير) شيطانه الذي يلقي عليه الشعر (ابليس الأباليس)[1] .

ويكنى عن الشيطان بالشيخ النجدي[2] . وقد أشير اليه مراراً في كتب السير والأخبار . أشير اليه في بنيان الكعبة ، حين حكموا رسول الله في أمر الركن من يرفعه، فحضر في زي شيخ نجدي بين الحاضرين ، وصاح : يا معشر قريش أرضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم ، وحضر اجتماع (دار الندوة) . وأيد قرارهم في قتله . وذكر علماء الأخبار ، أنه عرف بالشيخ النجدي ، لأنه تمثل نجدياً ، وقيل لأن نجداً يطلع منها (قرن الشيطان) ورووا أحاديث تذكر ذلك ، وتذكر أن الفتن تخرج من المشرق ، والمشرق نجد بالنسبة لأهل الحجاز[3] .

و (قرن الشيطان) ، ناحية رأسه ، ومنه الحديث : تطلع الشمس بين قرني الشيطان ، فإذا طلعت قارنها ، وإذا ارتفعت فارقها[4] . وفي الأساطير أن للشيطان قرنين .

وكان الكهان يستعينون بالشياطين في الإخبار عن المعيبات،يذكرون أن الشياطين يسترقون السمع من السماء ، فيخبرونهم عن أنباء الأرض . وكان للكاهن (صاف

---

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (٦٩ وما بعدها) ، قال الاعشى :

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له ... جهنام جدعا للهجين المدمم

وقال :

حباني أخي الجنى نفسي فداؤه ... بأقبح جياش العشيات مرجم

الحيوان (٦/٢٢٥ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٢/٥١٢) ، (نجد) .

٣ الروض الانف (١/٢٩١) .

٤ تاج العروس (٩/٣٠٦) ، (قرن) .

ابن صياد) شيطان يلقي اليه بما خفي من أخبـــار الأرض ، وذكر أن النجوم تقذف الشياطين،وأن الجاهليين كانوا يرون ذلك ، وهو موجود في أشعار القدماء من الجاهلية ، منهم عوف بن الجزع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم وكلهم جاهلي ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم[1] .

و (ابليس) من هذه الأفكار التي نفذت الى العرب عن طريق أهل الكتاب ، والعلماء على ان الكلمة معربة ، وهي كذلك[2] . فأصلها (ديابولس) « Diabolos » وهي كلمة يونانية استعملت في مقابل لفظة (شيطان)[3] . وقد أطلقت لفظـــة (أباليس) في مقابل (شياطين) . وقد ورد ان من أسماء ابليس (قترة) ، وان اللفظة علم للشيطان . ومن المجاز أبو قترة : ابليس . « وفي الحديث نعوذ بالله من الأعمين ومن قترة وما ولد . الأعمين الحريق والسيل ، وقترة من أسماء ابليس ، وكنيته : أبو قترة . وقترة حية صغيرة ، لا ينجو سميمهـا[4] ، ولعل بين التسميتين صلة .

شق :

ومن الجن جنس صورة الواحد منهم عـــلى نصف صورة الانسان ، واسمه (شق) ، وانه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده ، فربما هلك فزعاً، وربما أهلكه ضرباً وقتلاً . ورووا في ذلك قصصاً . منه ما زعموه من ان (علقمة ابن صفوان بن أمية بن محرث الكناني) جد (مروان بن الحكم) ، خرج في الجاهلية ، وهو يريد مالاً له بمكة ، وهو على حمار ، وعليـــه إزار ورداء ، ومعه مِقرعة ، في ليلة اضحيانة ، حتى انتهى الى موضع يقال له (حائط حزمان)، فاذا هو بشقّ ، له يد ورجل ، وعين ، ومعه سيف ، وهو يقول :

---

١ الروض الانف (١/١٣٥) ، (فصل في الكهانة) .

٢ المعرب ، للجواليقي (٢٣) ، تاج العروس (٤/١١١) ، (البلس) .

٣ Ency. Religl., 4, p. 600, Geiger, was hat Mohammad aus der Judenthume Aufgenomen, Leipzig, 1902, S. 107, Weil, Biblische Legenden der Muselmanner, S. 12, Shorter Ency., p. 146, Grünbaum, Beitrage Zur Sem. Sagen, S. 60.

٤ النسان (٥/٧٣) ، (ابليس) ، تاج العروس (٣/٤٨٠) ، (قتر) ، (٤/١١١) ، (البلس) .

علقم إني مقتول وإن لحمي مأكول
أضربهم بالهذلول ضرب غلام شملول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة :

يا شقها مالي ولكْ اغمد عني مُنْصلك
تقتل من لا يقتلك

فقال شق :

عبيت لك عبيت لك كما أتيح مقتلك
فاصبر لما قد حمّ لك

فضرب كل واحد منهما صاحبه ، فخرّا ميتين[1] .

الهاتف والرئي :

ويؤمن الأعراب بالهاتف،ويتعجبون ممن يرد ذلك . وهم يزعمون أنهم يسمعون الهاتف يخبرهم ببعض الخبر ، فيكون صحيحاً . فمن ذلك حديث (الأعشى بن نبّاش بن زرارة الأسدي) ، أنه سمع هاتفاً يقول :

لقد هلك الفيّاض غيثُ بني فهر وذو الباع والمجد الرفيع وذو الفخر

فقال مجيباً له :

ألا أيها الناعي أخا الجود والندى من المرء ننعاه لنا من بني فهر

فقال :

نعيت ابن جدعان بن عمرو أخا الندى وذا الحسب القدموس والحسب القهر[2]

---

١ الحيوان (٦/٢٠٦) ، (هارون) .
٢ الحيوان (٦/٢٠٢) .

وزعموا أن لنقل الجن الأخبار ، علم بوفاة الملوك وأصحاب النباهة والجاه، وأمثال ذلك من الأمور الخطيرة[1] .

وتتردد في الأخبار كلمة (هاتف) و (الهاتف) ، بمعنى صوت صادر من مصدر غير مرئي،وردت في مواضع عديدة من القصص الجاهلي ، ووردت بعدها الجمل التي قالها الهاتف لمن وجه خطابه اليه . وهي تكهن واخبار ، عن أمر وقع وحدث ، أو لتحذير من القيام بعمل ما ، أو بإرشاد الى عمل أو جهة أو ما شابه ذلك من الأمور . وقد تستعمل بمعنى (الرئي) الذي يهتف للكاهن ، أو الصوت الذي يزعم أنه يخرج من جوف الصنم[2] .

الرئي :

وكانوا يقولون ، إذا ألف الجني انساناً وتعطف عليه ، وخبّره ببعض الأخبار وجد حسّه ورأى خياله ، فاذا كان عندهم كذلك قالوا : مع فلان رئي من الجن ، يخبره بما وقع ويقع وعن الأسرار . وممن يقولون ذلك فيه : عمرو بن لحي بن قمعة ، والمأمور الحارثي ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وهم من الرؤساء السادة ، وقد كان لكل كاهن وعرّاف رئي يخبر صاحبه بما يُسأل عنه. وذكر انه قد كان مسيلمة يدعي ان معه رئياً في أول زمانه ، ولذلك قال الشاعر حين وصفه :

بِبَيْضة قارورٍ وراية شادنٍ وخلة جني وتوصيل طائر[3]

الملائكة :

والملائكة هم روحانيون ، أي من أرواح في نظر أهل الجاهلية . ويدل ورود الملائكة في مواضع عديدة من القرآن الكريم ومن الآيات التي تشير الى مجادلة المشركين ومحادثتهم للرسول في الملائكة ، ان فكرة الملائكة كانت معروفة شائعة

---

١ المصدر نفسه (ص ٢٠٣) .
٢ تاج العروس (٦/٢٧٣) ، (هتف) .
٣ الحيوان (٦/٢٠٥ وما بعدها) ، (هارون) .

بينهم ، وأن بعض العرب كانوا يعبدونها ، كما يظهر ذلك من الآية : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت وليّنا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون »[1] .

غير أن المفسرين ، لم يشيروا الى أولئك الذين تعبدوا للملائكة ، ولم يذكروا أسماءهم ، مع أنهم ذكروا اسم من تعبد للجن[2] . بل يظهر من تفسيرهم للآية المذكورة ، أنها وردت على سبيل الاستفهام « كقوله عز وجلّ لعيسى : أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . قال النحاس : فالمعنى أن الملائكة صلوات الله عليهم إذا كذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم ، فهو استفهام توبيخ للعابدين »[3] . ولكنهم أشاروا في مواضع أخرى الى ان مشركي قريش كانوا يقولون : الملائكة بنات الله،وكانوا يعبدونها . ويقولون ان امهاتهن بنات سروات الجن ، يحسبون انهم خلقوا مما خلق منه ابليس[4] .

وقد أشير في القرآن الكريم ، الى ان من الجاهليين من زعم ان الملائكة بنات الله[5] . وتحدث المفسرون في تفسير ذلك ، غير انهم خلطوا في الغالب بين الملائكة والجن . ولم يأتوا بشيء يذكر عن رأي أهل الجاهلية في الملائكة . وما ذكروه هم عن الملائكة ، هو اسلامي ، يرجع في سنده الى أهل الكتاب ، ولا سيما القصص الاسرائيلي ، ولهذا فهو مما لا يمكن ان يقال عنه انه يعبر عن رأي الجاهليين . ويظهر ان الجاهليين لم يكونوا يعرفون شيئاً عن الملائكة، لأن الاعتقاد بالملائكة من عقيدة الديانة اليهودية ثم النصرانية ، وهم لا يعرفون الكتاب ، إلا من كان منهم على دين اليهودية أو النصرانية ، أو كان من الحنفاء أو على اتصال بأهل الكتاب ، كأمية بن أبي الصلت وأمثاله .

وقد أشير الى الملائك ، أي (الملائكة) في شعر ينسب الى (أمية بن أبي الصلت) ، هو :

---

١ سبأ ، الآية ٤٠ وما بعدها .
٢ راجع تفسير الطبرى (٦٩/٢٢) ، روح المعاني (١٣٩/٢٢) ، القرطبي ، الجامع (٣٠٩/١٤) .
٣ القرطبي ، الجامع (٣٠٨/١٤ وما بعدها) .
٤ تفسير الطبرى (٦٧/٢٣ وما بعدها) .
٥ الصافات ، الآية ١٤٩ وما بعدها ، الاسراء ، الآية ٤٠ ، الزخرف ، الآية ١٥ وما بعدها ، تفسير الطبري (٨٣/١٤) .

وكأن بِرقعَ ، والملائك حوله سدرٌ تواكله القوائم أجرد[1]

وورد (ملأك) في شعر رجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك ، قيل هو النعمان . وقيل هو لأبي وجزة يمدح به عبدالله بن الزبير :

فلست لإنسيّ ، ولكن لِملأك تنزل من جو السماء يصوب[2]

وقد زعم أن الملائكة تصافح الناس وتناجيهم . زعم ذلك حتى في الإسلام . ذكر (ابن دريد) ان (عمران بن الحُصين بن عُبيد بن خلف) ، وهو من الصحابة ، وعرف بـ (أبي نجيد) ، « كانت تصافحه الملائكة وتناجيه لداء كان به ، فاكتوى ، فذهب عنه ذلك . وذهب ما كان يسمع ويرى »[3] .

السحر :

والسحر من أهم الوسائل التي لجأ اليها البشر وأقدمها منذ أعتق أيامه في التأثير على الأرواح ، وقد جعله جزءاً من الدين ، لذلك كان من اختصاص رجال الدين ، يقومون به في المعابد قيامهم بالشعائر .

واذ كان معظم الناس في الزمن الحاضر يفرقون بين الدين والسحر ، ويعدّون السحر شيئاً بعيداً عن الدين ، بل هو ضد الدين ، فإن قدماء البشر لم يكونوا ينظرون اليه هـذه النظرة ، كانوا ينظرون اليه كما قلت على انه جزء مهم من الدين ، بل هو أهم جزء فيه وأعظمه ، بل ما زلنا نجد ديانات القبائل البدائية تعدّ السحر جزءاً من الدين[4] . وهو كذلك في كل دين بدائي .

وعمل الساحر هو السحر ، والسحر في عرف بعض علماء اللغة الإسلاميين هو

---

١ اللسان (٤٩٦/١٠) .

٢ اللسان (٤٩٦/١٠) .

٣ الاستقاق (٢٧٨/٢) ، (طبعة أوربة) ، (انه كان يرى الحفظة ، وكانت تكلمه حتى اكتوى) ، الاصابة (٢٧/٣) ، (الرقم ٦٠١٢) .

٤ R. Campell Thompson, Semitic Magic its Origins and Development, London, 1908, p. XVII, Smith, p. 90.

« عمل يقرب فيه الى الشيطان »[1] . وقد فسّر بعض العلماء كلمة (الجِبْت) في القرآن الكريم بمعنى السحر ، كما ذكر أنها تعني الساحر والكاهن والصنم وكل ما عبد من دون الله . وفسر (الطاغوت) بمعنى الشيطان[2] .

وقد وردت كلمة (السحر) و (سحر) و (الساحر) و (الساحرون) و (السحرة) و (مسحوراً) و (مسحورون) في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، ويدل ورودها فيه بهذه الكثرة على مبلغ أثر السحر في عقلية الجاهليين. وقد اتهم أهل مكة الرسول أنه ساحر ، حينما أخبرهم بنزول الوحي عليه . وقالوا انه يستمد وحيه من الشياطين .

وقد جمع البخاري بين الكهانة والسحر بأن قدّم الكهانة على السحر ، لأن مرجع الاثنين شيء واحد هو الشياطين[3] .

وقد حملت تلك المواضع من القرآن الكريم المفسرين على جمع ما علق بأذهان الناس عن السحر . أما كتب الحديث ففيها مادة مفيدة وردت ضمناً عن عقيدة أهل الجاهلية به . كما وردت في أخبار أهل الأخبار إشارات اليه ، تجمل جميعها ان الاعتقاد بالسحر بين الجاهليين كان شائعاً معروفاً . وان ممارسيه في جزيرة العرب كانوا عرباً ويهوداً ، وانهم كانوا يرون ان أصوله في بابل وعند يهود .

وقد كان أكثر السحرة في الجاهلية من يهود[4] . يقصدهم الجاهليون من أنحاء بعيدة ، لاعتقادهم بسعة علمهم وباختصاصهم فيه . وكان اليهود يسندون علمهم الى بابل،ولهذا نجد الأحاديث والأخبار العربية ترجع علم السحر الى بابل واليهود .

والفرق بين الكهانة والسحر ان الكهانة تنبؤ ، فسند الكاهن هو كلامه الذي يذكره للناس . أما السحر ، فانه عمل في الأكثر ، للتأثير في الأرواح ، كي تقوم بأداء ما يطلب منها . ولا يمكن صنع سحر ما لم يقترن بعمل . ويصحب هذا

---

١ تاج العروس (٣/٢٥٨) ، (سحر) ، اللسان (٤/٣٤٨) ، (سحر) .
٢ النساء ، الآية ٥٠ ، « وسمي الساحر والكاهن جبتا » ، المفردات (٨٣) ، تاج العروس (١/٥٣٥) ، شمس العلوم (ح ١ ، ق ٢ ، ص ٢٤٤) .
٣ عمدة القارىء (٢١/٢٧٣ ، ٢٨٢) ، « باب السحر » ، ارشاد الساري (٨/٤٠١) ، الطبري (٢/٤٢١ ، ٤٤٥) ، الطبرسي ، (١ـ٢) ، (٣٨٤) .
٤ عمدة القارىء (٢١/٢١٣) ، الطبري (٢/٤٣٩) ، العقد الفريد (٦/٢٧٦) ، تفسير الرازي ، (١٧ـ١٨) (ص ٩) ، سنن ابن ماجة (٢/١١٧٣) ، روح المعاني (٣٠/٢٨٢) .

العمل كلام مفهوم أو غير مفهوم ، وإشارات ، يدعي الساحر انه انما يقوم به وبالإشارات لتسخير الأرواح ، وان مـــا يفعله مفهوم عند جنوده ، وهم الجن والشياطين .

وفن مثل هذا مغرٍ جداً ، فمن من الناس من لا يريـد تسخير القوى الخفية لخيره ولصالحه ، وإلحاق الأذى بأعدائه ومبغضيه . ولذلك كان للسحـر وللسحرة أثر خطير في التأريخ ، بالرغم من مقاومة بعض الأديان له . فما يقوم به السحرة من أعمال وخفة ، وما لشخصيات بعض السحرة من تأثير نفسي كبير ، تجعل من الصعب على بعض الناس ان يكذّبوا أقوالهم وأفعالهم ، ولذلك يتأثرون بهم ، ويأخذون بما يقولونه لهم ، حتى تكون للساحر مكانة كبيرة في نفس ذلك الشخص.

وللسحر أغراض عديدة ، وقد استخدم في معالجة أمور كثيرة ، حتى ادارة الملك والقضاء على الأعداء،للسحر وللسحرة فيها صولات وجولات . ومن الطبيعي أن يكون للحب المكانة البارزة فيه ، حتى ليكاد يتخصص بهذا الجانب من حياة الإنسان . ولما كانت العادة أن يتزوج الرجل من جملة نساء صار السحر من أهم الوسائل التي استعانت بها الزوجات للتأثير في قلب الرجل ، ولكسب المكانة الأولى عنده ، وللتفريق بين الرجل وبين بقية أزواجه . ومصداق ذلك ما ورد في القرآن الكريم عن السحرة في هذه الآية : « ولكن الشياطين كفروا ، يعلّمون النـاس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلّمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة ،فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه»[1] . فالتفريق بين المرء وزوجه : كان ولا يزال من أهم أعمال السحرة . ونجـد في الحديث تقريعاً ولوماً للسحرة لاستخدامهم السحر في هذا الغرض الفاسد .

والساحر في معالجة الحب على طريقين : اشعال جذوة نار الحب في قلب من يقصد إثارته عنده ، أو اطفاء نارها وإخمادها واماتتهـا في قلب المسحور . ولكل من الطريقين قواعد وأحكام وأصول يجب تطبيقها بعناية ، وإلا بطل فعل السحر.

أما إشعال نيران الحب ، فيكون بطرق متعددة يتبعهـا الساحر ، فقد يستعين بالنباتات والأعشاب ، يستخرج أدوية منها يقدمها الى المرأة لتُوجر الرجل اياها سراً . وقد يستعين بالجمر يقرأ عليه ، ثم يرمى في الممرات التي يمـر الرجل ،

---

١ البقرة : الآية ١٠٢ ، عمدة القارىء (٢٠/٢٧٨ وما بعدها) .

أو الشخص المراد سحره منها . وقد يدفن السحر في موضع كمقبرة أو محل آخر ليؤثر من ذلك الموضع على المسحور . وقد يستعين بالحرز يسحر عليها ، فتحبب المرأة الى زوجها ، وتسمى (التِوْلة)[1] .

وكما يستعمل السحر لاشعال نيران الحب في القلب ، كذلك يستعمل لايقـــاد البغض والكراهية في النفوس . ففي استطاعة الساحر بما عنده من جنود مجندة ان يلقي البغضاء والكراهية والحقد في نفس أي شخص يود انساناً آخـــر ، فينقلب مبغضاً حاقداً كارهاً لمن كان يحبه ويعشقه . ومجـال هذا الباب واسع جداً للنساء خاصة .

وفي استطاعة الساحر مداواة العاشق وإماتة عشقه بوصفة يعطيها اليه تقضي على حبّه الجامح قضاءً تاماً يسمونها (السلوانة) و (السلوان) . وما هذه الوصفة إلا مادة ذات سحر عجيب يغتسل بها الانسان أو يشربها ، فتطفىء في الحال أو بعد أمد كل نيران للحب مؤججة في قلب العاشق . والسلوانة هي شيء من تراب قبر ، أو خرزة تسحق ويشرب ماؤها ؛ فيورث شاربها سلوة . وتكـون الخرزة شفافة ، تدفن في الرمـــل فتسودّ ، ثم تستخرج لسحقها وشربها ، وقد يكتفى بصب ماء المطر على تلك الخرزة لسقي العاشق ذلك الماء الذي يسمونه (السلوان)، ليشفى من العشق[2] . ولا بد أن يكون لاختيار الماء وتراب القبر أو مسحوق الخرزة في معالجة العشق ، سبب يمكن تفسيره بأنه لغسل قلب المحب،وإماتة الحب فيه .

ومن أهم الأعمال التي يعالجها السحرة ، اخراج الجن من المجانين . فالجنون هو من عمل الجن . تحل الجنة بالإنسان فتأخذ عقله . ومن هنا قيل لهـذا المرض (جنة) و (جنون)[3] . ومن واجب الساحر اخراج الجن من هؤلاء المرضى، وهو عمل يقوم به الساحر حتى اليوم،ويكون ذلك بضرب المريض بالعصا لإخراج

---

١ بالكسر وبالضم ، « وقيل هي معاذة تعلق على الانسان » ، اللسان (١٣/٨٥) .

٢ يا ليت أن لقلبـي مـن يعللـه أو سافيـا فسقاني عنـك سلوانا

وورد :

شربت على سلوانة مـاء مزنـة فلا وجديد العيش با مي ما أسلو

وجـــاء :

جعلت لعـراف اليمامـة حكمه وعراف نجـد ان همـــا شفيانى

فما تركـا من رقيـــة يعلمانها ولا سلـوة الا بهـــا سفيانـــي

اللسان (١٩/١١٨ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (٩/١٦٤ وما بعدها) ، « جنن » .

الجنة منه . أو بسقيه بعض الأشربة السحرية ، أو بتدليك جسمه وغسله،وبإدخاله محلاً مظلماً هادئاً يحرق فيه البخور ، وبتعليق بعض العزائم والحجب وما شاكل ذلك لإبعاد الجن عن المجنون وإعادة عقله اليه .

ويداوي الساحر أمراضاً عديدة أخرى ، بل كل أنواع الأمراض ، وما المرض في نظر القدماء إلا أرواح شريرة حلت في الأجساد أو بجزء منها ، فألحقت بها الأمراض . ولن يشفى الجسد أو الجزء المصاب منه إلا بطرد تلك الأرواح. وطرد الأرواح من أعمال السحر . والساحر هو سلف من أسلاف الأطباء . وكلمة (طبيب) العربية هي من هذا الأصل . فالطب في اللغة السحر ، و (المطبوب) هو المسحور ، والطابّ هو الساحر يستخدم طبه في الشفاء[1]. وقد أدخلت كتب الحديث السحر في (كتاب الطب)[2] . فالساحر هو طبيب يعالج أشياء عديدة ، ثم تخصص الأطباء بالطب ، غير ان الأطباء ظلوا يمارسون حتى في أوروبة السحر في معالجة مرضاهم مدة طويلة ، الى ان تطور العلم ، وظهر البحث الحديث .

ويقوم أكثر مداواة المرضى بواسطة السحر بالنفث على المريض أو في فمه وبامساك الرأس أو الجزء المريض ، لقراءة شيء عليه يضمن شفاءه ، أو بتدليك ذلك الجزء منه . وقد يعطى حجباً وتمائم تشفي المريض من مرضه . والنفث في الفم من العادات الجاهلية القديمة ، يقوم بـه الكاهن والساحر والأب في بعض الأحيان ، لاعتقادهم ان ذلك سيلهم الطفل فيعلمه العلم والحكمة والذكاء ويمنحه الصحة الجيدة .

ومن طرق السحر عند الجاهليين ، النفثُ في العُقد ، وقد دلّت عليه هذه الآية الكريمة : « ومن شرّ النفّاثات في العقد »[3] . ويكون ذلك بعقد عقد والنفث عليها[4] . ويذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن (لبيد بن أعصم

---

١ صحيح مسلم (١٤/٧) ، اللسان (٤٢/٢) ، تاج العروس (٣٥١/١) ، عمدة القاريء (٢٢٩/٢١) .

٢ راجع كتب الحديث : (كتاب الطب) ، ارشاد الساري (٣٦٠/٨ وما بعدها) ، عمدة القاريء (٢٧٧/٢١ وما بعدها) .

٣ الفلق : الآية ٤ .

٤ الكشاف (٢٤٤/٤) ، تاج العروس (٦٥٠/١) « نفث » ، صحيح مسلم (١٤/٧) ، « باب السحر » ، عمدة القاريء (٢٨٠/٢١ وما بعدها) ، أسباب النزول (٣٤٦ وما بعدها) .

اليهودي) سحر الرسول ، ودس ذلك السحر في بئر (لبني زريق) تسمى (بئر ذروان) (بئر ذي أروان) ، وأنه وضع ذلك السحر في جف طلعة تحت راعوفة ، أي في قشر الطلع وتحت حجر في أسفل البئر . فلما استخرج السحر ، وجدوه مشاطة رأس وأسنان مشطه ، وإذا فيه معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر [1] . ويقوم بهذا السحر الرجال والنساء . غير أن المفسرين وأهل الأخبار واللغة حينما يذكرون هذا النوع من السحر يذكرون أن النساء النفاثات هن اللواتي كنّ يقمن بذلك . أخذوا رأيهم هذا من الآية المذكورة التي تشير الى بنات لبيد وكنّ ساحرات ، والاشارة في هذه الآية عن حادث معين ، ولم يقصد بها الاطلاق.

والنفث في العقد ، وعقد سبع عقد توضع فيها مادة السحر ، من طرق السحر القديمة المعروفة عند العبرانيين والآشوريين وغيرهم . وقد عثر في الكتابات المسمارية على تعليمات في كيفية اتقاء شر الأرواح الخبيثة وأرواح الأموات الشريرة التي تسحر الناس ، فكان مما جاء فيها عقد سبع عقد ووضع مسادة سحرية فصلت في تلك التعليمات لاتقاء شر سحر تلك الأرواح [2] .

ويذكر المفسرون وأهل الحديث ان الرسول لما سحره (لبيد بن الأعصم) من (بني زريق) ، كان « يخيل اليه انه كان يفعل شيئاً وما فعله » [3] ، حتى علم بسحر (لبيد) ، فلما استخلصه من البئر ، ذهب أثر ذلك السحر عنه .

وقد كان السحرة اليهود يقرأون شيئاً ويهمهمون عند عقدهم كل عقدة من هذه العقد ، ويقال لذلك Ghabar [4] . ومن هؤلاء اقتبس السحرة العرب طريقتهم في النفث على العقد .

والمواد التي يستعين بها الساحر لعمل السحر عديدة . أوراق بعض النباتات والملح والبخور والدماء والعظام وقرون الحيوانات يدفنها أو يحرقها أو يذيبها في الماء . وفي كل سحر لا بد أن يشفع الساحر سحره بطقوس أو بحركات خاصة ، وبتمتمة تلقي في الروع ان الساحر يقول شيئاً ويخاطب أشخاصاً هم الجن. والتمتمة

---

١ الطبرسي ، الجزء التاسع ، المجلد الخامس (٥٦٨) ، ارشاد الساري (٨/٤٠٣ وما بعدها ، ٤٠٧) .

٢ Semitic Magic, p. 33.

٣ ارشاد الساري (٨/٤٠٣ وما بعدها) ، شرح صحيح مسلم ، للنووي (٩/١٥) « حاشية على ارشاد الساري » ، الطبرى (٢/٤٣٩) . سنن ابن ماجه (٢/١١٧٣) .

٤ Hastings, p. 569.

هي في الغالب كلام غير مفهوم عند الناس ، ولكنه عنـــد الساحر وجنوده الجن والشياطين كلام واضح بليغ .

ويعمد السحرة الى الصور والرموز في سحرهم ، ومنهم من كانوا لا يعرفون الكتابة ولا القراءة فيرمزون الى من يريدون سحره ، أو إلحاق الأذى به ، أو يصورونه . وقد يشيرون بالصور والرموز الى الجن والشياطين . وهم في الغالب يدفنون تلك الصور والرموز في المقابر ، لأنها من أنسب الأماكن للسحر . وقد عثر على عدد من هذه الاشارات والصور السحرية . ومنها ما هو مكتوب بكتابات لها صور بالسحر[1] .

إبطال أثر القوى الخفية :

وقد حمل اعتقاد الجاهليين بوجود قوى خفية تؤثر في الانسان ، أهل الجاهلية على العمل على التغلب على تلك القوى أو الحد منها وايقاف فعلها وذلك بابتداعه طرقاً عديدة لذلك ، مثل استعماله (النفرات) أو السحر ، أو (الرقي) ، أو التمائم ، والتعاويذ وما شابه ذلك من أمور .

و (النفرة) شيء يعلق على الصبي لخوف النظرة[2] . و (التنفير) الطرق التي يستعملها الانسان لتنفير القوى الخفية وابعادها عنه . وطريقتهم في ذلك شبيهة بطرقهم في تنفير الثقلاء وغير المرغوب فيهم من الناس وابعادهم ، وذلك باتخاذ كل ما ينفر ويقزز ، لتعاف تلك الأرواح المواضع التي اختارتها والأشخاص الذين نزلت بساحتهم وحلت في أجسامهم ، ومنها طريقة (التنجيس) . وطريقتهم في ذلك تعليق الأقذار من خرق المحيض وعظام الموتى وأمثال ذلك على الصبي ومن يُخاف عليه عيون الجن ،لاعتقادهم ان الجن سوف تبتعد عن هؤلاء وتهرب منهم . ويقال للمعوذ (المُنَجَّس) ، وللشخص الذي عوّذ له (المُنَجَّس) . والتنجيس يشفي إلا من العشق[3] .

---

١ Hastings, p. 569.

٢ تاج العروس (٣/٥٧٩) ، (نفر) .

٣ ورد : « وعلق انجاسا على المنجس » ، اللسان (٨/١١١) ، (نجس) ، بلـــوغ الارب (٢/٣١٩) .

واتخذ الجاهليون طرقاً عدة للتخلص من الجن ، ولا سيما من الخطفة والنظرة . أي من خطف الجن للأطفال ومن حسدها لهم . فهداهم تفكيرهم الى تعليق بعض الأشياء على الصبي[1] ، مثل سنّ ثعلب ، أو سن هرة ، وتقطير شيء من السوائل في عينيه عند الولادة لتنفير الجن منه . وتسمى هذه الأمور المنفرة للجن النفرات[2] .

ومن النفرات التحايل على الجن بتغيير الأسماء ، بتغريبها ، كأن يسمى الصبي بأسماء بعض الحيوانات الصغيرة أو الأشياء التافهة الحقيرة ، وبذلك تنفر الجن منه، فلا تقترب منه ، ولا تمسه بسوء[3] . « قال أعرابي لما ولدت قيل لأبي نفر عنه ، فسماني قنفذاً وكنّاني أبا العدّاء »[4] .

التحصن من الجن :

والاستعاذة بالجن تفيد أيضاً في نظر الجاهليين في حماية الشخص من أذاهم . فإذا استعيذ بعظيم الجن ، استجاب العظيم نداء المستعيذ . فكان المسافرون إذا خافوا من طوارق الليل ، عمدوا الى وادٍ ذي شجر ، فأناخوا رواحلهم، وعقلوها وخطّوا عليها خطاً ثم نادوا : نعوذ بعظيم هذا الوادي ، أو نعوذ بصاحب هذا الوادي . فيستجيب عندئذ عظيم الوادي لنداء المستعيذ ، فلا يسمح لأحد أن يلحق به أذى . . وقد أشير الى ذلك في القرآن : « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقاً »[5] . وذكر ان العرب كانوا إذا صاروا في تيه من الأرض ، وتوسطوا بلاد الحوش ، خافوا عبث الجنان والسعالى والغيلان والشياطين ، فيقوم أحدهم فيرفع صوته : إنا عائذون بسيد هذا الوادي! فلا يؤذيهم أحد ، وتصير لهم بذلك خفارة[6] .

---

١ بلوغ الارب (٢/٣١٩) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٢٥) ، الناج (٣/٥٧٩) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٢٥) .
٤ اللسان (٧/٨٥) ، الناج (٣/٥٧٩) ، (نفر) .
٥ سورة الجن ، الآية ٦ .
٦ الحيوان (٦/٢١٧) .

ذبائح الجن :

ولارضاء الجن واسكاتها ، وتجنب أذاها ، قام الجاهليون بتقديم الذبائح لها . فاذا أراد انسان السكن في بيت جديد ، أو استخراج الماء من بئر احتفرها أو من عين ماء ، أو ما شاكل ذلك وخاف من وجود الجن فيها ذبح ذبيحة ، يرضى بها الجن ، فلا تتحرش عندئذ به ولا تصيبه بأذى،لأنه قد تقرب بالذبيحة اليها وبيّن لها انه صديق لها ، فيعيش عندئذ قرير العين في بيته الجديد ، لا يمس عماره بسوء . ويقال لهذه الذبائح : (ذبائح الجن) . وقد نهى الاسلام عن ذبائح الجن . ورد انهم « كانوا اذا اشتروا داراً أو استخرجوا عيناً أو بنوا بنياناً ، ذبحوا ذبيحة مخافة ان تصيبهم الجن ، فأضيفت الذبائح اليهم لذلك »[1] .

و (النُّشرة) سلاح مفيد جداً لحل عقد الرجل عن مباشرة أهله . وقد كانت مشهورة في أيام الرسول . وقد أباح العلماء (النشرة العربية التي لا تضر إذا وطئت ، وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاه ، فيأخذ عن يمينه وشماله من كل ، ثم يذيبه ويقرأ فيه ، ثم يغتسل به »[2] . ويدل نعت هذه النشرة بالنشرة العربية على وجود نشرات غير عربية ، وهي النشرات التي كان يعملها اليهود . وقد كانوا يستعملون الأدعية العبرانية ، لذلك نهى الاسلام عن استعمال تلك النشرات .

و (النُشرة) في تعريف علماء اللغة : رقية يعالج بها المجنون والمريض ومن كان يظن أن به مساً من الجن . وإذا نشر المسفوع كان كأنما أنشط من عقال، أي يذهب عنه سريعاً . وفي الحديث أنه سئل عن النشرة ، فقال هي من عمل الشيطان . وقد أدخلها بعضهم في السحر[3] .

و (العوذة) ، ويقال لها (المعاذة) و (المعاذات) . تستعمل في التعويذ

---

١ اللسان (٣/٢٦٢) ، تاج العروس (٢/١٣٨) ، (ذبح) ، اللسان (٢/٤٣٧) ، (ذبح) ، (صادر) .

٢ عمدة القارىء (٢١/٢٨٤) ، تاج العروس (٣/٥٦٦) ، سنن أبي داوود (٤/٦) .

٣ تاج العروس (٣/٥٦٦) ، (نشر) ، الحيوان (٤/١٨٥) ، اللسان (٥/٢٠٩) ، (نشر) ، (صادر) .

من الفزع والجنون[1] . وتبعث تسميتها على الظن بأنها من المصطلحات الاسلامية ، وانها أخذت تسميتها من المعوذتين. غير ان ورودها في مواضع عديدة من الحديث، واستعمالها في القرآن الكريم للتعبير عن فكـــرة معينة معلومة ، يدلان على انها من المصطلحات التي كانت معروفة بين أهل (يثرب) حتى إن بعض الصحابة ذكروا انها نزلت للتعويذ . ومعنى (أعوذ) أعتصم وألتجيء ، فلا يستبعد ان يكون أهل يثرب على الأقل قد تعلموا ذلك من اليهود الذين كانوا يقرأون بعض التعاويذ من التوراة لحماية أنفسهم من شر الأمراض .

وتستعمل (الرقية) في مداواة الآفات ، مثل الحمى والصرع والنظرة ولدغات العقارب والحيات وأمثال ذلك ، وتكون بقراءة شيء على المريض أو على موضع المرض ثم النفث عليه ، أو بحمل شيء مكتوب . وقد جاء في بعض الأحاديث جوازها في الاسلام ، وفي بعضها النهي عنها . وقد ذكر علماء الحديث ان الاسلام قد نهى عن الرقية التي تكون بلسان غير عربي ، ويدل هذا على ان الجاهليين كانوا يذهبون الى أهل الكتاب ولا سيما اليهود منهـــم ، فيرقونهم بالعبرانية أو السريانية ، ولذلك نهوا عنه . وقد عرضت بعض أنواع الرقية التي كان يستعملها أهل الجاهلية على الرسول لأخذ رأيه فيها ، فأباحهـا لهم ، وأباح لهم كل رقية ليس فيها شيء من ألفاظ الجاهلية[2] .

وقـــد حفظت الكتب لنا أنموذجات من بعض الرقى ، منها هذه الرقية التي استعملت في اشعال نيران الحب : « هوا به هوا به ، البرق والسحابة ، أخذته بمركن ، فحبه تمكن . أخذته بإبره ، فلا يزل في عبره ، جلبته بإشفى ، فقلبه لا يهدا . جلبتـــه بمبرد ، فقلبه لا يبرد »[3] . فهذه الرقية تلهب قلب الرجل ، وتهيجه ، وتجعله كأنه في إجانة غسل الثياب . يعمل على وفق ارادة المرأة التي استعملت تلك الرقية .

---

١ اللسان (٥/٣٤) ، سنن ابن ماجة (٢/١١٦٣) ، اللسان (٣/٤٩٩) ، العقد الفريد (٦/٢٧٤) .

٢ شرح الامام النووي على متن مسلم (٩/٣٩) ، ارشاد الساري (٨/٣٩١) ، سنن أبي داود (٤/١٠ وما بعدها) ، اللسان (١٤/٣٣٢) ، (صادر) ، (١٩/٤٩) ، تاج العروس (١٠/١٥٤) ، اللسان (٣/٤٩٩) ، (٤/٣٣٢) ، صحيـــح مسلـــم (٧/١٨) ، سنن ابن ماجة (٢/١١٦٦) ، (كتاب الطب ٣٨) .

٣ بلوغ الارب (٣/٧) .

أما إذا سئمت المرأة زوجها ، وأرادت الابتعاد عنه ، وطرده عنها ، فسبيلها في ذلك رقية تبعد الرجل ، وتنفره منها ، وذلك بأن تقول : « بأفول القمر ، وظل الشجر ، شمال تشمله ، ودبور تدبره ، ونكباء تنكبه ، شيك فلا انتقش» . فاذا أتمت ذلك ، رمت في أثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة . ثم تقول : « حصاة حصت أثره ، ونواة نأت داره ، وروثة راثت خبره ، لفعته ببعرة »[1] .

و (العزائم) الرقيّ ، أو ضروب منها . يقال عزم الراقي ، كأنه أقسم على الـداء ، وعزم الحوّاء ، إذا استخرج الحية . كأنه يقسم عليها . والعزيمة من الرقيّ التي يعزم بهـا على الجن والأرواح[2] . ومن اعتقادات الأعراب أن الجن لا تجيب صاحب العزيمـة ، حتى يكون المعزّم مشاكلاً لها في الطبـاع[3] . وأن للمعزمين جنوداً من الشياطين والجن تتبع أوامرهم وتطيعهم وتخدمهم وتتصرف بين أمرهم ونهيهم[4] .

ومن ضروب الرقية ، ما يدعيه الحوّاء من اخراج الحية من جحرها ، بعزيمة يقوم بها،تجبرها على الخروج منه . وقد قالت بذلك الشعراء في الجاهلية والاسلام. وكانوا يؤمنون بذلك ويصدقون به . وقد أشير في شعر لأمية بن أبـي الصلت ، الى اخراج الحية من جحرها . وقد تحدث (الجاحظ) عن ذلك ، وعلل سبب خروجها وجاء بأبيات شعر في ذلك ، وتحدث عن تمويه الحواء والراقي[5] .

و (التّمائم) ومفردها (التميمة) ، هي عوذة على هيأة قلادة من سيور تضم خرزاً ، وقد تكون من خرزة واحدة تستعمل للصبيان والنساء في الغالب اتقـاء النفس والعين . فاذا كبر الطفل ، انتزعت التميمة منه . وقيل : التّمائم «خرزات كان الأعراب يعلقونها عـلى أولادهم ينفون بها النفس والعـين بزعمهم ، فأبطله الاسلام » . وذكر ان التميمة خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقـد في العنق . وكانوا يعتقدون انها تمام الدواء والشفاء[6] . وقد أشير اليها في الشعر الجاهـلي .

---

١ بلوغ الارب (٣/٧) .
٢ اللسان (١٢/٤٠٠) ، (عزم) ، الحيوان (٤/١٨٤) .
٣ الحيوان (٤/١٨٥ وما بعدها) .
٤ الحيوان (٤/١٨٤ وما بعدها) ، الفهرست ، (الفن الثاني من المقامة الثامنة) .
٥ الحيوان (٤/١٨٤ وما بعدها) .
٦ اللسان (١٢/٦٩ وما بعدها) ، (تمم) .

وكانوا يستعملونها بكثرة ، يتعوذون بها ، لذلك عدها بعض الصحابة من الشرك، لأنهم جعلوها واقية من المقادير والموت وأرادوا دفع ذلك بها ، وطلبوا دفع الأذى من غير الله[1] .

وللخرز عند الجاهليين وعند الأعراب حتى اليوم ، أهمية كبيرة في السحر ، وفي دفع أذى الأرواح والعين ، وفي النفع والحب ، وأمثال ذلك . ولما كانت الخرز فصائل وأنواعاً ، فقد خصوا كل فصيلة باسم معين ، وجعلوا لكل قسم وصنف أثراً خاصاً يمتاز به عن بقية الأصناف الأخرى . فالتولة مثلاً الخرزة التي تحبب المرأة الى زوجها[2] ، و (العُقرة) (خرزة العقر) خرزة تشدّها المرأة على حقويها لئلا تلد. يزعم الأعراب انها إذا علقت على حقو المرأة لم تحمل إذا وطئت . وقيل العكس : العقرة خرزة تعلق على العاقر لتلد[3] . و (الينجلب) خرزة للتأخيذ ، تفيد في رجوع الرجل بعد الفرار وفي اكتساب عطفه بعد وقوع بغضه[4] . وكانوا يقولون أقوالاً في ذلك مثل : « أخذته بالينجلب ، فلا يرم ولا يغب ، ولا يزل عند الطنب » ، و « وأعيذه بالينجلب ، ان يقم وان يغب » . فهم يربطون الرجل بهذه الخرزة . فيجعلونه لا يفارق بيته وأهله .

و (الخَصُمة) ، وهي خرزة للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت الخاتم أو في زر القميص أو في حمائل السيف[5] . و (العطفة) هي خرزة تجلب العطف لصاحبها[6] . و (السلوانة) خرزة تسحق ويشرب ماؤها ، فيورث شاربه سلوة . وقيل : خرزة للتأخيذ ، يؤخذ بها النساء الرجال ، وقيل خرزة للبغض بعد المحبة ، وقيل خرزة شفافة تدفن في الرمل . فتسود فيبحث عنها ويسقاها الانسان فتسليه ، أو يسقاه العاشق فيسايه عن المرأة . وقيل خرزة كانوا يقولون : اذا صب عليها ماء المطر ، فشربه العاشق سلا. أو هو ان يؤخذ تراب قبر ميت، فيجعل في ماء فيسقى العاشق ، فيموت حبه . أو هو دواء يسقاه الحزين

---

١ اللسان (١٢/٧٠) ، (تمم) ، سنن أبي داود (٤/٩) ، النهاية (١/١٤٣) ، تاج العروس (٧/٢٤٢) ، شحن العلوم (ح ١ ق ١ ص ٢١٥) .
٢ تاج العروس (٧/٢٤٢) .
٣ تاج العروس (٣/٤١٤) ، (عقر) ، بلوغ الارب (٣/٧) .
٤ تاج العروس (٨/٣٧٩) ، بلوغ الارب (٣/٧) .
٥ تاج العروس (٨/٣٧٩) ، (خصم) .
٦ تاج العروس (٦/٢٠٠) ، بلوغ الارب (٣/٧) .

فيفرحه[1] . و (القرزحلة) ، وهي خرزة من خرز الضرائر[2] .

وكانوا يرقون بالخرز . فلخرزة (الهنمة) ، رقية خاصة ، هي : « أخذته بالهنمة ، بالليل زوج وبالنهار أمة »[3] . وللقبلة و (الدردبيس) ، وهي خرزة مؤثرة ذات قوة فعالة ، يتحبب بها النساء الى أزواجهن،تؤخذ من القبور العادية، أي القبور الجاهلية القديمة ، رقية خاصة ، هي : « أخذته بالدردبيس تدرّ العرق اليبيس ، وتذر الحديد كالدريس » . وقيل الدردبيس خرزة سوداء ، كأن سوادها لون الكبد ، اذا رفعتها واستشففتها رأيتها تشف مثل العنبة الحمراء للحب، تتحبب بها المرأة الى زوجها ، توجد في قبور عاد[4] .

ومن خرزهم : (كرار) ، خرزة تؤخذ بها نساء الأعراب . وقيل خرزة تؤخذ بها النساء والرجال . ورقيتها : « يا كرار كرّيه ، يا همرة اهمريه ، ان أقبل فسريه ، وان أدبر فضريه ، من فرجه الى فيه »[5] . ومنها (الهمرة) ، خرزة للتأخيذ . وهي خرزة الحب ، يستعطف بها الرجال ، ورقيتها : « يا همرة اهمريه ، ويا غمرة اغمريه ، ان أقبل فسرّيه ، وإن أدبر فضريه ، من استه الى فيه ، وماله وبنيه »[6] . ومثلها (الهصرة) ، خرزة للتأخيذ[7] .

ومن الخرز المعروفة : (الكحلة) ، خرزة من خرزات العرب للتأخيذ ، تؤخذ بها النساء الرجال . أو هي خرزة سوداء تجعل على الصبيان للعين والنفس من الجن والإنس ، فيها لونان بياض وسواد[8] .

اصابة العين :

كان للجاهلين رأي وعقيدة في العين وفي أثرها في الحياة ، فهم يعتقدون بأثر

---

١ تاج العروس (١٠/١٨١) ، (سلا) .
٢ بلوغ الارب (٣/٦ وما بعدها) .
٣ اللسان (١٦/١٠٧) ، تاج العروس (٩/١١١) ، (الهينمة) .
٤ تاج العروس (٤/١٤٩) ، (الدردبيس) .
٥ تاج العروس (٣/٥١٩ وما بعدها) ، (كرر) ، بلوغ الارب (٣/٧) .
٦ تاج العروس (٣/٦٢٣) ، (همر) ، بلوغ الارب (٣/٧) .
٧ تاج العروس (٣/٦٢١) ، (هصر) .
٨ تاج العروس (٨/٩٥) ، (كحل) ، اللسان (١١/٥٨٥) ، (كحل) .

العين وإصابتها . ولخطر هذه الإصابة وأهميتها ، تفننوا في ابتداع وسائل الوقاية منها ، وحماية أنفسهم من أثرها . وقد زعموا أن عيون بعض النـاس تصيب ، وانها ان أصابت شيئاً أهلكته ، فان (العين) لا تنتج الا شراً ، وهي لا تكاد تكون في خير مطلقاً . ولذلك تجنّبوا (العائن) وابتعدوا عنه. و (العائن) و (المعيان) و (العيون) هو من تصيب عيونه . فكان أحدهم اذا ما اتصل بإنسان، وصادف أن نظر ذلك الانسان الى شيء أعجبه ، أو رأى شيئاً لفت نظـره ، ثم صادف ان وقع مكروه لمن نظر اليه ، أو الى ما كان قد رآه (العـائن) ، نسب ذلك المكروه اليه ، ورمي باصابة العين ، وقد يحدث من ذلك الرجل مثل مـا حدث له مع من وقع المكروه عليه ، فيرمى عندئذ بإصابة معين ، وينبذه النـاس خوفاً من اصابتهم بعينيه . فيقال ان فلاناً لعيون : اذا كان يستشرف للنـاس ليصيبهم بعين . ويقال للعيون انه لنفوس ، وما أنفسه ، وقد أصابته نفس أو عين[1] .

ولا تقتصر الاصابة بالعين على اصابة عيون الانسان،فقد تصيب عيون الحيوان كذلك . وهناك حيوانات عديدة لها قدرة على الاصابة بعينيها مثل الحيات والثعلب والطاووس . وأكثر الحيوانات التي تكون لعيونها بريق أو لمعان خاص ، هي من هذا القبيل . وقد حمل هذا الاعتقاد بعض الناس على التخوف من تلك الحيوانات والابتعاد عنها ، بل بلغ الخوف ببعضهم ان امتنعوا من ذكر اسم أمثـال تلك الحيوانات أو تهجّي حروف أسمائها خشية العين[2] . والكـلاب من الحيوانات التي تصيب بعيونها . ورد عن (ابن عبـاس) قوله : « الكلاب من الجن ، فان غشيتكم عند طعامكم ، فالقوا لهن ، فان لهن أنفساً . أي أعيناً »[3] . ولخوفهـم من اصابة عيون الحيوان كرهوا الأكل بين يديها . فكانوا إمـا ان يشغلوها عن النظر اليهم بشيء يرمونه لها لتأكله ، ولو بعظم . وإما ان يطردوها ، فيتخلصوا من اصابتهم بعيونها[4] .

---

١ الحيوان (٢/١٤٢ وما بعدها) .

٢ روح المعاني (٣٠/٢٨٤) ، Ency. Religi., 5, 610.

٣ اللسان (٦/٢٣٦) ، (نفس)، « ان الكلاب من الجن ، وان الجن من ضعفة الجن ، فاذا غشيكم منها شيء ، فالقوا اليها شيئا واطردوهـا ، فان لها أنفس سوء » ، الحيوان (٢/١٣١) .

٤ الحيوان (٢/١٣٢) .

ويعبر عن العين التي تصيب (المعين) بـ (النفس) . يقال نفسته بنفس ، أي أصبته بعين ، وأصابت فلاناً نفس ، أي عين . وفي الحديث « انه نهى عن الرقية إلا في النَّملة والحُمَة والنفس ، أي العين »[1] . و (النافس) : العائن ، والمنفوس المعيون . و (النّفوس : العيون الحسود المتعين لأموال الناس ليصيبها ، وما أنفسه ، أي ما أشد عينه)[2] .

و (السفعة) العين . ورجل مسفوع ، أي معيون أصابته سفعة ، أي عين . ويقال به سفعة من الشيطان ، أي مس ، كأنه أخذ بناصيته . ويعبر عنها بـ (النظرة) كذلك . وقيل : النظرة الإصابة بالعين والسفعة العين[3] . و (النظرة) الغشية أو الطائف من الجن ، وقد نظر ، فهو منظور ، أصابته غشية أو عين . وفي الحديث أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، رأى جارية ، فقال : ان بها نظرة ، فاسترقوا لها . قيل معناه : ان بها اصابة عين من نظر الجن اليها وكذلك بهـا سفعة[4] . وقد يخصصون (النظرة) بإصابة عين الجن[5] .

وللحاسد نفس عـلى المحسود . وقد يصل نفس الحاسد الى حد الإهلاك . والعائن ربما لا يتعمد الأذى ، انما عينه هي التي تصيب بمجرد المقابلة أو وقوع النظرة على الشيء ، ولذلك كان أذاه عند المقابلة ووقوع عين العائن على المعيون. أما الحاسد ، فـإنه يصيب في الغيبة وفي الحضور ، لأن عينه تنفـذ وتصل الى المحسود ، وان كان غائباً عن الحاسد[6] . ولخطر الحسد وشدة أذاه ، اتخـذت الحمائل الخاصة بمقاومة عيون الحسود .

ولحماية النفس من العين ، استعملت الخرز والتعاويذ والرقي . ومن الخرز التي استخدمت في حماية الأطفال من اصابة العين ، (الكحلة) ، وهي خرزة سوداء

---

١ تاج العروس (٤/٢٥٩) ، (نفس) .
٢ اللسان (٦/٢٣٦) ، (نفس) .
٣ تاج العروس (٥/٣٨١) ، (سفع) .
٤ تاج العروس (٣/٥٧٤) ، (نظر) .
٥ عمدة القارىء (٢١/٢٦٤ وما بعدها) ، اللسان (١٧/١٧٦) .
٦ روح المعاني (٣٠/٢٨٤) .

تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم . و (القبلة) ، وهي خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من العين[1] .

و (الودعة) ، تفيد في دفع أذى العين عن الانسان . وذكـــر انها مما يقذفه البحر ، وهي تتفاوت في الصغر والكبر ، وهي خرزة تثقب وتتخذ منها القلائد، وللحماية من العين[2] .

١ تاج العروس (٨/ ٧١) ، بلوع الارب (٣/٧) ٠
٢ تاج العروس (٥/ ٥٣٤) ، (ودع) ٠

obeikandl.com